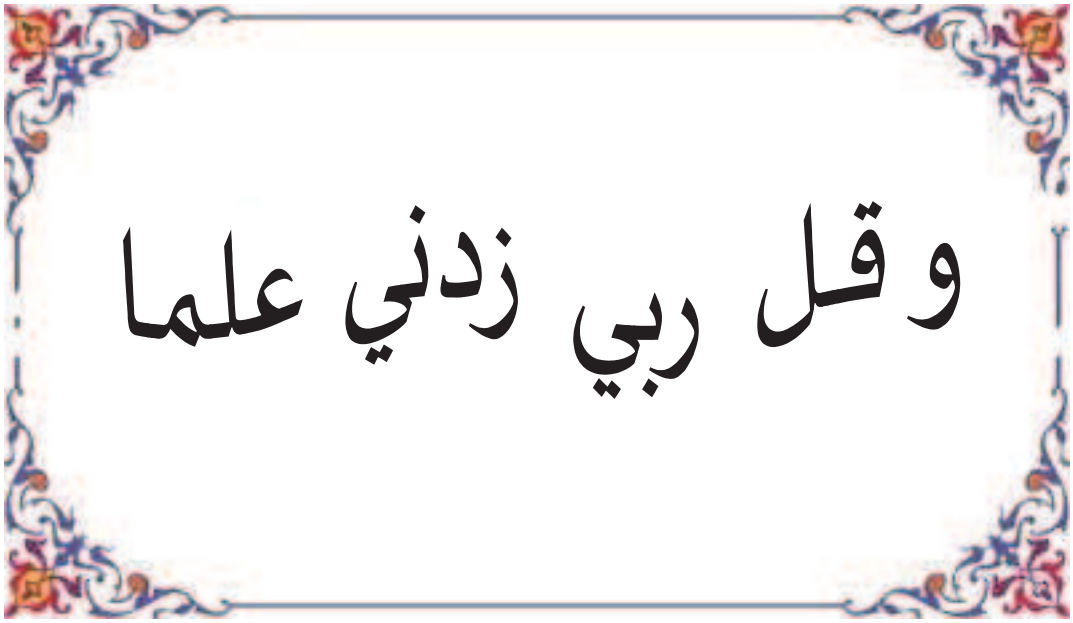
وقل ربي زدني علما

جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية –

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم اللغة و الأدب العربي

بنية الرمز في الشعر الجزائري المعاصر
ديوان"السفر في الكلمات" لعقاب بلخير – نموذجا -

مذكرة لنيل شهادة الماستر ل م د

تخصص أدب جزائري

إعداد الطالبتين :

بن معمر رزيقة

بن حاسين ضاوية

الأستاذ المشرف :

الدكتور:فريد ثابتي

السنة الجامعية2015/2014

شكـــــر و تقديـــــر:

نتقدم بجزيل الشكر و الامتنان إلى الأستاذ
المشرف"فريد ثابتي" الذي لم يبخل علينا
بتوجيهاته,كما نشكر كل أساتذة قسم اللغة و الأدب
العربي بجامعة بجاية,فنسأل الله عز و جل أن
يجازيهم أجر ما عملوا كل باسمه .

إهـــــــــداء

الحمد لله الذي خلق الإنسان, وعلمه البيان,والصلاة والسلام على سيدنا محمد ,أفصح من نطق بالضاد من بني الإنسان ,وعلى اله و صحبه أجمعين أما بعد :

اهدي هذا العمل المتواضع الذي تم بعون الله و رضاه إلى اسما كلمة في الوجود,ومن كابدت الصعاب وسهرت الليالي في سبيل تربيتنا و تعليمنا إلى الغالية أمي,والى من احمل اسمه بافتخار أبي الحنون

إلى من شاركوني الحياة بحلوها ومرها إلى أحبتي أخواتي العزيزات رشيدة و عائلتها ,سميرة و عائلتها ,صورايا,فضيلة

إلى إخوتي لصيف و خطيبته لامية ,محند اكلي

إلى سهيلة,نعيمة,كريمة,زهرة

إلى خطيبي توفيق وعائلته

إلى مدللة العائلة سارة

والى زميلتي في البحث بن معمر رزيقة,وكل زملائي وزميلاتي في الدراسة في قسم اللغة و الأدب العربي

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف ثابتي فريد وكل أساتذة القسم

ضـــاوية

إهـــــــــــداء

إلى من أمرت بخفض جناح الذل لهما إلى من ارتبط رضا الرحمن برضائهما:

إليك يا من ربتني على فطرة الإسلام أماه الغالية

إليك يا من سعى دائما لأجل إرضائي أباه الحنون

إلى كل الأخوة: سمراء,بلال و زوجته جويدة,عبدالرزاق,يانيس,سامي اللذين أتمنى أن يحفظهم الله من كل شر

إلى الكتكوت إسلام بهجة الروح و زينة الحياة و الذي أطلب من المولى عز و جل أن يقر عين والديه وأن يكون خيرخلق

إلى الكتكوتة فريال عروسة البحر

إلى كل من زهرة,العربي,سعاد,عبد الرؤف,ياسمين,أمين اللذين أتمنى أن يحفضهم الله و أن يكون النجاح حليفهما

إلى نينة حبا و تحفيزا و التي أتمنى أن تكون فردا قيما و أن تواصل دربها بمزيد من النجاحات و التفوق في شتى الميادين الحياتية

إلى صديقاتي و هن كثيرات :لامية,سهام,نوارة,مونية,زهرة,ثانينة

إلى زميلتي في البحث ضاوية

إلى كل الأقرباء كل باسمه.

و الحمد لله الذي هداني إلى طريق الخير و السير فيما ينفع الغير,الحمد لله على هذه النعمة عليه توكلت و عليه أعتمد,شكرا يارب العالمين

رزيـــقة

مقدمة البحث:

تتميز القصيدة العربية بمجموعة من الخصائص والتقنيات التي تجعلها تنفرد بأساليبها على الصعيدين الداخلي والخارجي،وهذا ما جعلها ترتقي و تتطور لتصبح نموذجا عربيا فريدا،نذكر من بين هذه المميزات "الرمز الشعري" الذي لجأ إليه الشعراء المعاصرين واستخدموه في قصائدهم بكثرة و هذا لعدة أسباب أهمها أن الرمز باستطاعته أن يعكس موقف صاحبه اتجاه قضية معينة أو مشكلة معينة في مجتمعه دون أن تواجهه ضغوطات كما أنه يغني القصيدة و يملؤها بالدلالات الرمزية و ينفخ الروح في الرموز المستدعاة فالرمز يعتبر ملمح فني جديد و جمالية من جماليات القصيدة العربية إذ أنه أحد أهم الوسائل التي ابتدعها الشعراء في سبيل تطوير اللغة أولا و محاولة ترجمة و تصوير انفعالاتهم و خلجاتهم الكامنة وراء وجدانه،تجدر الإشارة إلى أن الرمز كان معروفا منذ القدم عند العرب على طريقة الاستعارة،الكناية و المجاز إلا أنه الآن أخذ صورة أخرى تتناسب مع أحاسيس الشاعر المعاصر الواسعة التي أساسها القلق و الاضطراب هذا الذي هو ظاهرة العصر،و القصيدة الجزائرية المعاصرة قد تأثرت هي الأخرى بشكل ملحوظ بهذا الملمح الفني و هذا ما توضحه النماذج الجزائرية التي تبنته إذ أصبح جزءا لا يتجزأ من قصائدها حتى انه أصبح منطلقها في الكتابة لما فيه من قدرة على إيصال رسالتها إلى القارئ بطريقة سلسة و سهلة و هذا إن دل على شيء فهو يدل على مقدرة الشاعر في توظيفه للرمز ومزجه مع أفكاره و مخيلته و هذا ما نجده خاصة عند "عزالدين ميهوبي" و"مصطفى محمد الغماري" اللذان وجدا

في الرمز الديني المتنفس الوحيد لأفكارهم وعقيدتهم الدينية وهذا ما لفت انتباهنا وزاد رغبتنا في البحث في هذا الموضوع إذ انه يستحق بالفعل البحث والدراسة لما فيه دلالات وإيحاءات ثم انه موضوع يصب في مجال تخصصنا و دراستنا فقد حاولنا من خلال هذا المبحث المتواضع دراسة بنية الرمز في الشعر الجزائري المعاصر مع اتخاذنا لديوان"السفر في الكلمات" للشاعر و الأستاذ "عقاب بلخير "نموذجا و الذي يعتبر من أولى تجاربه في مجال الشعر و الذي يحمل في طياته مجموعة من المواضيع المختلفة المتعلقة خاصة بالوطن وهو يعتبر نموذجا هاما للشاعر الجزائري المعاصر الذي اتخذ من الرمز أداة ووسيلة للتعبير عن صخب الحياة والصراعات الحضارية التي يحكمها اللامنطق واللاتوازن،و على هذا الأساس يتبادر مجموعة من الأسئلة التي ستكون بمثابة إشكالية لهذا البحث ألا و هي:

ماذا نعني بالرمز؟ و ما هي أهم خصائصه؟ و هل تجلى هذا الرمز في الشعر الجزائري؟وإن كان فأين يظهر ذلك؟

و لتبيان خفايا هذا الرمز وجمالياته التي أضفت على النصوص الشعرية رونقا جميلا قمنا بانجاز هذا البحث و قد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي فالوصفي هو ما ضم الجزء النظري أما التحليلي فهو ما يساير مشروعنا التطبيقي و قد اعتمدنا خطة بحث لتكون لنا معلما تنير لنا الطريق و تبسط أفكارنا بهدف انجاز بحث بسيط و سليم منهجيا فبعد المقدمة التي شرحنا فيها أهم النقاط الخاصة بموضوعنا انتقلنا إلى المدخل الذي كان لمحة موجزة عن الرمز ثم قسمنا عملنا إلى فصلين أساسيين (نضري وتطبيقي)

الفصل الأول : تعرضنا فيه إلى الحديث عن ماهية الرمز لغة و اصطلاحا و قد اعتمدنا في ذلك على أهم مرجع وهو القرءان الكريم و أهم المعاجم مثل لسان العرب لابن منضور لننتقل بعد ذلك للحديث عن نشأته عند العرب و الغرب مع تبيان أهم الخصائص التي يتميز بها ،كما تحدثنا عن أنواع الرموز التي تتمثل في الرموز التاريخية،الدينية و الأسطورية .

الفصل الثاني :(التطبيقي)،وفيه تعمقنا أكثر في الموضوع و ذلك بتطرقنا إلى تجربة الشعر الجزائري المعاصر مع الرمز الشعري ثم تعرضنا للحديث عن أهم أنواع الرمز المستعملة في القصيدة الجزائرية و لنؤكد على معلوماتنا استشهدنا بأهم النماذج الجزائرية المعاصر التي وظفت الرمز بأنواعه،و لكي نغوص أكثر صلب الموضوع عمدنا إلى قراءة الديوان قراءة معمقة و وقفنا على أهم الرموز التي استخدمها "عقاب بلخير"مع تبيان دلالاتها و معانيها بربطها مع مواضيع هذا الديوان المختلفة .

لنختم عملنا بخاتمة كانت عن أهم النتائج التي توصلنا إليها و تبيان مدى استفادتنا من هذا البحث، و قد اعتمدنا في البحث على بعض المصادر و المراجع التي كانت لنا سندا في تطبيق منهجيتها مثل:كتاب "الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر"،و كتاب"مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية "لنسيب نشاوي و "المذاهب الأدبية لدى العرب"لعبد الرزاق الأصقر و "الشعر العربي و الذوق المعاصر"لمحمد كامل حسين بالإضافة إلى بعض البحوث الأكاديمية مثل"الرمز و دلالاته في شعر عزالدين ميهوبي"لسحمدي بركاتي و"مسار الرمز و تطوره في الشعر الجزائري الحديث" لمحمد قري،إضافة إلى بعض المجالات و الدوريات و المواقع الإلكترونية مثل:مجلة الراشدية .

فرغم بعض الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا خاصة ما تعلق بقلة المصادر و المراجع و صعوبة العثور عليها إلا أننا استفدنا كثيرا من هذا البحث بتوسيع معارفنا حول الشعر عامة و الجزائري خاصة .

و في الأخير نتقدم بالشكر و الامتنان لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث خاصة الأستاذ المشرف"ثابتي فريد"الذي لم يبخل علينا بجهد سواء ما تعلق بتوفير المصادر والمراجع أو ما تعلق بالنصائح و التوجيهات،و نتمنى أن يكون هذا بداية لبحوث و دراسات أخرى في حياتنا لأن البحث و الدراسة لا ينتهي بانتهاء المشوار الدراسي بل يكون نقطة انطلاق لبناء المستقبل .

تمهيد:

إن الحديث عن الرمز في الشعر قديم قدم الآداب سواء العربية منها أم الغربية ،فقد برز استعماله عند أعداد من الشعراء الذين يريدون التعبير عن أفكارهم بطرق غير مباشرة.[1]

فقد نشأ المذهب الرمزي و ترعرع في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولم تعرف الرمزية كمدرسة أدبية إلا في عام 1886[2]،فالرمزية باعتبارها مذهبا أدبيا فلسفيا يعبر عن التجارب الأدبية و الفلسفية المختلفة بوساطة الرمز أو الإشارة أو التلميح،ظهرت ضمن ظروف و عوامل خاصة والتي يمكن إدراجها في ظروف تنتمي في الغالب إلى بيئة القرن التاسع عشر،و لا ترجع إلى أصول تاريخية موغلة،و يمكن التمييز فيها بين عاملين هما :

أ)-عوامل غير مباشرة:و هي التي أملاها المناخ الثقافي العام منها،ظهور الفلسفة المثالية الألمانية التي ذاعت في فرنسا بفضل أعمال 'فكتوكوزان'خاصة ما كان يتعلق في إلقائه لمحاضراته،و دراساته لأعلام الفلاسفة خاصة 'كانت'في فلسفته المتعلقة بالأسس الجمالية العامة.[3]

ب)-العوامل المباشرة:و التي تمثلت من خلال ترجمة بود لير لأعمال 'ادجار ألان بو'إلى الفرنسيةو تقديم أدبه إلى القارئ الفرنسي،و هكذا ذاع صيته بين جمهور الشعراء الناشئين،كما نجد أن بود لير لم يقف به الأمر عند ترجمة هذه الأعمال فقط،و إنما تأثر به

[1]-هدي فاطمة الزهراء,جمالية الرمز في الشعر الصوفي,رسالة ماجستير,تلمسان,2006,ص62.
[2]-نسيب نشاوي,مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر,ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية,1984,ص446.
[3]-أحمد محمد فتوح,الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر,ط3,دار المعارف,القاهرة,1984,ص49

إلى حدّ إنشائه ديوان "أزهار الشر".[1] فالرمزية الفنية الجديدة تختلف عن الرمزية التي كانت معروفة في العصور السابقة،فقد كان الرمز أداة تعبير عالمية قديمة يعبر فيها الناس عن مقاصدهم سواء بالإشارة أو الرمز أو الألفاظ،لكن المدرسة الرمزية شيء أخر فقد أصبحت منهجا فنيا متكاملا،فأصبح الرمز فيها قيمة فنية و عضوية.[2]

فقد كان رواد الرمزية الأوائل قد أخذوا على الرومانسية مبالغتها في الذاتية و الانطواء على ا لنفس بحيث غدت غير أبهة بما يجري خارج الذات و إفراطها في التهاون اللغوي و الصياغة الشكلية،ثم أخذوا البر ناسية بالمقابل المبالغة في الاحتفاء بالشكل و لاسيما فبالأوزان ممّا قد يحرم الشاعر من إمكانية التلوين و التنويع و موائمة التموجات الانفعالية أخذوا عليها أيضا شدّة الوضوح و الدقة بينما توجد في عالم الشعر مناطق ظليلة و اهتزازات خفيفة يصعب التعبير عنها بدقة ووضوح،فالوضوح والدقة والمنطق والوعي والقيود اللغوية والفنية كلها شروط تخنق الإبداع وتكبح تيار الانفعال...ولابّد من الانطلاق مع العفوية والحرية الكاملة ليجري الإبداع في أجواء خالية من القيود والسدود...ولابّد من التماس أدوات لغوية جديدة هي الرموز للتعبير عن الحالات النفسية القائمة بطريقة الإيماء لا بالطريقة المباشرة الواضحة.[3]

---

[1]-نفس المرجع,ص55.

[2]-عبد الرزاق الأصقر,المذاهب الأدبية لدى الغرب,ص133.

[3]-نفس المرجع,ص112

وقد عد'بود لير'مؤسسا للمدرسة الرمزية،لأنه استطاع أن يمنهجها مذهبا أدبيا متكاملا،ويعد 'رامبو' أول تلاميذة بود لبر وفي رأيه أن الشعر يصنع من الألفاظ لا من الأفكار،و قد تأثر فيرلين ببودلير فأكد القيمة الإيحائية للكلمات و أن غرض الشعر الإبهام والغموض.[1]

وعليه يمكن القول أن المدرسة الرمزية الغربية لم تنشأ من العدم ولم تظهر بين ليلة وضحاها،و إنما كانت ثمرة جهد و إبداع من طرف مختصين يمكن إدراجها ضمن ثلاثة مراحل :

أولها: مرحلة يودلير1867:كان بود لير من أعلام المدرستين البر ناسية و الرمزية في أن واحد،فقد كان لا يفرط في العاطفة و يمقت البساطة،كما أنه يتميز بروح شاعرية فذّة وحساسية فائقة فقد نال الشهرة من خلا ديوانه "أزهار الشر".

ثانيها: تتمثل في مرحلة النضج من خلال ثلاثة أعلام:

1-ستيفان ما لارميه(1842-1898):يعد مالا رميه زعيم المدرسة الرمزية الفرنسية،و قد أتقن الإنجليزية لكي يفهم'ادغارألانبو' وعمل طوال حياته مدرسا للانجليزية،و مارس تأثيرا عظيما في الجيل الجديد من الشعراء،و دعاهم إلى تحويل الكلمات الدارجة عن معناها التقليدي[2]،كان ما لارميه ينفر من السهولة و الوضوح و اللغة العادية،كان يسعى إلى

الكمال و إلى تحقيق المستحيل وإلى التعبير عن سرّ الكون الغامض،و بهذه الفلسفة المتشائمة انفصل شعره عن الواقع و تغرّب عن الطبيعة و الذات .

[1]-نسب نشاوي,مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر,ص466

[2]-نسيب نشاوي,ص467.

2-بول فيرلين(1844-1896):بدأ فيرلين حياته الفنية شاعرا برناسيا يعنى بالصنعة الشعرية المحكمة و يوجه همه إلى تصوير المحسوسات في لوحات موضوعية جامد مزهوا بصفتين يلتزمهما:حياده الأصم الذي لا يلين لأحد،و إضفائه على الشكل جمالا يشبه المرمر في طبيعته[1]،تنقل فيرلين بين باريس بروكسل ولندن،كانت أشعاره صدى إحساسه و تجاربه،فهو يعيش شعره و يندفع من بواعث شعورية ولا شعورية

-أرتور رامبو(1854-1891):بدأ'رمبو' يكتب الشعر عام1870 على الطريقة البر ناسية أولا،ثم على طريقة بود لير،و لكن شخصيته الفنية المستقلة ما لبثت أن استحصدت حين ألقى عن كاهله عبء التقليد[2]،نظم'رامبو'الشعر و هو في الخامسة عشر و أقلع عنه في العشرين لكن أشعاره طبعت مرات عديدة،و هو من كبار الشعراء الرمزيين الذين تركوا أثرا عميقا في الحركة الشعرية الحديثة.

أما المرحلة الثالثة: فقد كانت مرحلة الجيل الذهبي و الردة الكلاسيكية كما تعرف،فقد أتخذ هذا الجيل على عاتقه عبء التيار الرمزي،نجد من بين أعلام هذا العهد:مورياس،إميل فيرهارن و هنري دي رينيه،فقد نحت هذه الردة الكلاسيكية إلى تطوير النظرية الرمزية واقترابها من واقع الحياة فلم تكن ردة شكلية تحصر اهتمامها في العودة إلى العروض التقليدي[3]

[1]-محمد فتوح أحمد,ص76.
[2]-محمد فتوح أحمد,ص78.
[3]-نفس المرجع,ص81,82,83.

ولكن بالرغم من ظهور طائفة كبيرة من الشعراء الذين سلكوا طريق المدرسة الرمزية إلا أن هذه المدرسة لم تعمر طويلا فباءت بالفشل و تلاشت بعد فترة وجيزة من نشوئها،بعد ضعفها،في هذا يلاحظ 'باورا'أن سرّ ضعف التيار الرمزي كان يكمن منذ البداية في رفضه لمنطق الواقع،و انسحاب رواده من الحياة العامة،و إيمانهم القاطع بأن غاية الشعر هي الوصول إلى مثل صفاء الموسيقى ساعين إلى وضع هذه العقيدة موضع التطبيق[1]

و بهذا ظل تحديد معاني الكلمات،واقتصارها على تقديم الشيء المبهم الخارق للعادة ما يؤدي بالشعر إلى الغموض ما يؤدي إلى نتيجة حتمية تتمثل في نشوء شعر لا يرقى إلى أن يصل إلى النموذج،و المتأثرون بالرمزية ظلوا يكتبون عن أنفسهم،فهم ذاتيون،يرون الأشياء من خلال ذواتهم،و هم كأساتذتهم الرمزيين ضلوا يؤمنون بالعظمة الصوفية و انعزالها و بالموسيقى الشعرية،و حين ركزوا اهتمامهم في هذه الأمور أضاعوا فرصا سبقهم إليها غيرهم،و تلك هي خلق الشعر من الحياة المألوفة و الألفاظ الدارجة و لكن مهما يكن حالهم فإنهم ثبتوا القيم الإنسانية في وجه ظروف قاسية أو تافهة واستخلصوا من أعباء الإنسان و أحزانه رفعة رفيعة[2]

[1]-نفس المرجع,ص85.

[2]-السحمدي بركاتي,الرمز و دلالته في شعر عزدين ميهوبي,رسالة ماجيستر,جامعة لحاج لخضر,باتنة,2009,ص16.

الفصل الأول

الرمز (المصطلح و النشأة)

المبحث الأول :

*الرمز لغة.

*الرمز اصطلاحا.

*سمات و خصائص

المبحث الثاني:

*أنواع الرموز.

*الرمز في الشعر العربي.

المبحث الأول :

*الرمز لغة .

*الرمز اصطلاحا .

*سمات و خصائص الرمز .

الرمز لغة:

تدل كلمة رمز في اللغة العربية على معان مختلفة منها :

ورد في لسان العرب في مادة رمز – الرمز:معناه تصويت خفي باللسان كالهمس،و يكون بتحريك الشفتين بكلام غبر مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت ،إنما هو إشارة بالشفتين،و قيل الرمز إشارة و إيحاء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم[1]

كما نجد في القرآن الكريم في قصة سيدنا زكرياء عليه السلام الإشارة إلى الرمز،في قوله تعالى"قال ربّي اجعل أية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا[2]

بمعنى أن اللّه تعالى أمر زكرياء بعدم اللفظ بالكلام في مخاطبة الناس،و أمره باستعمال الرمز في ذلك،ما يدل على الإشارة .

و الرمز ككل يصاغ من الفعل رمز – يرمز – رمزا.

[1]–ابن منظور,لسان العرب,المجلد الثالث,ص119.

[2]–سورة أل عمران,الأية41.

الرمز اصطلاحا :

لقد كان للرمز دور كبير في تحسين الشعر لما له من دور فعال في إحداث ضجة بين الباحثين حول اختلاف أرائهم بين من كانوا يرون أن الرمز إشارة حسية مجازية و بين من يرى أنه معنى خفي و إيحاء.

فالرمز الشعري يبدأ من الواقع ليتجاوزه دون أن يلغيه إذ يبدأ من الواقع المادي المحسوس ليتحول هذا الواقع إلى واقع نفسي و شعوري تجديدي يند عن التجديد الصارم[1]

و"يعتبر الرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير و بخاصة في الشعر أو في النثر و هي قديمة و لكن الشاعر المعاصر غلبها في تجاربه الشعرية للانتقال الحداثي من بلاغة الوضوح إلى بلاغة الغموض في سعيه الدائم وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية يثري بها لغته الشعرية فهو مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يعانيها في واقعه الراهن"[2]

وبذلك يتجسد الرمز في الشعر من خلال الانطلاق من الواقع الذي يتخذ فيه الشعراء محتوى لصب أفكارهم و تجسيدها في قوالب بعدما يتحول هذا الواقع عندهم إلى واقع يكثر فيه ردّ الاعتبار للأحاسيس و المشاعر رغبة منهم في خلق عالم جديد بعيد كل البعد عن العالم الذي يحيا فيه،"فالرمز معناه الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية".[3]

1–محمد فتوح أحمد, الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر,ط3,دار المعارف,القاهرة,1984,ص33.

2–السحمدي بركاتي,الرمز التاريخي و دلالته في شعر عزالدين ميهوبي,رسالة ماجيستر,جامعة لحاج لخضر,باتنة,ص8.

3–نسيب نشاوي,مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي,ديوان

ويتخذ الشعراء من الرمز أداة للتعبير بدعوى أن اللغة العادية عاجزة عن احتواء التجربة الشعورية،و إخراج ما في اللاشعور،و توليد الأفكار الكثيرة في ذهن القارئ،فبالرمز تستطيع اللغة نقل هذه التجربة[1]

و يعرف"أرسطو" معنى الرمز على المستوى اللغوي بأنه"تلك الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس و الكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة.[2]

كما يحدد'وبستر' الرمز بأنه ما يعنى أو يوميء إلى شيء عن طريق علاقة بينهما،كمجرد الاقتران،أو الاصطلاح أو التشابه العارض غير المقصود[3]و في جانب أخر سعى 'بود لير' إلى تبيان أن الرمز ليس وسيلة من وسائل الأداء الشعري فحسب،في هذا عرف الرمز بقوله:"كل ما في الكون رمز،و كل ما يقع في متناول الحواس رمز،يستمد قيمته من ملاحظة الفنان لما بين معطيات الحواس المختلفة من علامات"[4] و هكذا يبقى الرمز كمجال مفتوح لاشتماله على تعاريف عدّة و تناول الكثير من الأدباء له و باعتباره آلية يلجأ إليها الشاعر لصياغة أفكاره الإيحائية التي تعجز اللغة العادية التعبير عنها، فالرمز بمعناه العام الواسع هو تعبير غير مباشر عن فكرة بواسطة استعارة أو حكاية،فالرمز يكمن في التشبيهات و الاستعارات و القصص الأسطوري،الملحمي والغنائي،و في المأساة و القصة

---

[1]–نسيب نشاوي,ص471.

[2]–محمد فتوح أحمد,ص35.

[3]–نفس المرجع,ص34

[4]–نفس المرجع,ص112.

و في أبطالها،اتخذه الناس قديما ليبرزوا قيمة الفكرة[1] و قد ظهرت محاولات رائدة في تحديد مفهوم الرمز،فكان 'جوته' أول من حدد بطريقة أدبية و حديثة الرمز،إذ يصف انطباعاته أثناء إحدى زياراته فرانكفورت مقررا أنه فوجئ بمشاعر خاصة و غريبة و أليفة أحس بها إزاء بعض الأشياء التي يصفها بأنها رمزية و أن هذه الأشياء إنما هي حالات ظاهرة تمثل عديدا من الحالات الأخرى و تستقطبهاو تؤثر فينا تأثيرا مألوفا أو غريبا.[2]

[1]–هدي فاطمة الزهراء,جمالية الرمز في الشعر الصوفي,ص62.

[2]–السحمدي بركاتي,ص10 .

سمات و خصائص الرمز:

يعتري الرمز سمات و خصائص تجعله ينفرد و يختلف عن باقي الظواهر الشعرية الأخرى و من بين هذه السمات نجد:

أ)الإيحاء: يعتبر الإيحاء عنصر هام و قار في الأعمال الرمزية بحيث تحرص هذه الأعمال على أن يتوفر فيها هذا العنصر و تبتعد و تنفر من المباشرة.

فالإيحاء يوحي بالحالة و لا يصرح بها،فالإيحاء أقدر على التعبير عن المشاعر المبهمة و الأحلام الخفية،التي تعتبر المملكة الحقيقية للشعر،فالإيحاء في بعض الأحيان أقوى من اللغة،فبالإيحاء نستطيع أن نكشف عن الحالة المزاجية التي لا تقدر اللغة العادية الإفصاح عنها بدقة .

فالإيحاء عنصر أصيل في الرمز،الذي لا يكتفي بتصوير الأشياء المادية،بل يسعى إلى نقل تأثيرها في النفس بعد أن يلتقطها الحس كما أنه يهتم بالتعبير عن الأجواء المبهمة التي تتسرب إلى أعماق الذات،ذلك أن غاية الشاعر الرمزي الوصول إلى خلق نفسية معينة في جو القصيدة،و لما كانت اللغة العادية التي لا تتعدى الشيء المحسوس،عاجزة عن نقل الحالات المبهمة،لجأ الشاعر إلى الرمز لما فيه من قدرة خارقة على ولوج عالم اللاوعي[1]

[1]–جميل أحمد إبراهيم,الرمز في القصة الفلسطينية القصير في الأرض المحتلة(1967–1987).رسالة ماجيستر,جامعة الإسلامية بغزة,2004,ص2

و كذالك لايكون الإيحاء موفقا إلا إذا استطاع المبدع أن يخلق جوا من الإيحاءات المتجددة المتوالدة،تنقلنا إلى عالم جديد لا نعرفه يدفعنا إلى الكشف عنه و استنكار طبيعته[1]،فعلى المبدع أن يجدد في أعماله الأدبية خاصة المتعلقة بالإيحاء و ذلك لأجل خلق عالم جديد بعيد عن العالم الأصلي الذي يغرق فيه القارئ عن طريق فتحه للتأويل في مكنوناته عن طريق البحث في معاني الإيحاءات الصادرة من المبدع و السعي لاكتشافها.

ب)الموسيقى :

اعتمد الرمزيين الموسيقى أيضا لما فيها من طاقات إيحائية غامضة غير محددة تساعد على خرق الستار المبهم الذي يلف الذات و ينقل الأجواء النفسية بطريقة مؤثرة،بحيث أن اللفظة تصبح الفكرة ذاتها،و ليس صورة لها[2]،كما يقول'فيرلين' أن الشعر لا قيمة له إلا بقدر ما يكون فيه من موسيقى[3]

فالموسيقى داخل الأعمال الشعرية هي المحددة لجمالية هذا الشعر،و ذلك فضلا للنغمات والإيقاعات التي تمدها للقصيدة،و الشعر المنبعث من موسيقى الأبيات يؤثر في النفس تأثيرا مباشرا يوحى إلى كل سامع بفكرة خاصة متلائمة و حالته النفسية.

فالرمزية ترمي إلى الإيحاء و التلميح و سبيلها الأول هو الموسيقى التي تنبعث من جرس الأصوات و انسجاماتها،و موسيقى التراكيب مع فطنة دقيقة إلى وقع العناصر الموسيقية

---

[1]–نفس المرجع,ص23

[2]–جميل إبراهيم أحمد كلاب,الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة(1967–1987),ص24.

[3]–محمد كامل حسين,الشعر العربي و الذوق المعاصر,مجلة شهرية,دار الشعب,ص92.

المختلفة،و ارتباطها بالمعاني المتباينة[1]،فقد سعت الرمزية إلى العناية بالموسيقى و ذلك عن طريق استخدامها للإيحاءات الصوتية في الألفاظ،و كذا تخطي الأوزان التقليدية لأجل إضفاء نبرة جميلة على الشعر.

فمجال الشعر نوعان:"نوع إنساني عام يتناول وصف النفس البشرية و عواطفها و تأثرها بمختلف المؤثرات،و هذا النوع من الجمال يفهمه أكثر الناس...و هناك الجمال الحسي الخاص الذي لا يدركه إدراكا تاما إلا أهل اللغة...و ذلك يتعلق بالكلمات و جرسها وما يكون في تركيبها من موسيقى[2]

فالموسيقى الإيحائية وسيلة يعبر المبدع من خلالها عن انفعالاته و هي في نفس الوقت أداة تأثير على المتلقي لما توحي به من مشاعر و أفكار المبدع[3] و ليس هناك نظام محدد يجبر المبدع على اختيار موسيقاه و قيمه الصوتية،بل يتم ذلك من خلال إدراك المبدع لإمكانيات الوحدات الموسيقية ووظائفها،و استخداماتها،وقدراتها،و لا يعني اعتماد الرمزيين على الموسيقى و القيم الصوتية للتعبير عن انفعالاتهم و أحاسيسهم ثباتها على منوال واحد،بل تتغير و تتجدد و تتشكل حسب المواقف والأحداث،و الحالة الشعورية و الانفعالية و النفسية للمبدع،ففي داخل القصيدة الواحدة تتنوع الموسيقى حسب تنوع المشاعر و خلجات النفس،و تطابق الشعور مع الموسيقى المعبرة عنه هو ما يؤلف وحدة القصيدة الحق[4].

---

[1]–نسيب نشاوي,ص464.

[2]–محمد كامل حسين,ص93.

[3]–جميل إبراهيم أحمد كلاب,ص25.

[4]–نفس المرجع,ص25 .

وعليه من الحق أن نعترف أن أكثر الشعر العربي يحظى بالجمال الخاص القائم على اللغة و موسيقاها،و الذين يعجبون بشع جرير يجدون من الصعب أن يجعلوه شعرا إنسانيا عالميا،لأن جماله كله من النوع الحسي الخاص[1].

ج)تراسل الحواس :

ارتبطت ظاهرة تراسل الحواس بالمذهب الرمزي الذي يسعى إلى إحداث رؤيا جديدة للكون والعالم،قائمة على تحطيم العلاقات المألوفة في نظامه،و إقامة علاقات جديدة،و كذالك تحطيم العلاقات الطبيعية المألوفة لنظام اللغة،و إكسابها نظاما جديدا قائما على علاقات جديدة و غير مألوفة[2]،فمن الوسائل الفنية التي يسعى إليها الرمزيين الغربيين في الإفادة من"تراسل الحواس"إعطاء المسموعات ألوانا،و تصوير المشمومات أنغاما و تصبح المرئيات عاطرة لتوليد إحساسات تغنى بها اللغة الشعرية و لا تستطيع اللغة الوضعية التعبير عنها،و رائدهم في ذلك 'بود لير'في قصيدته التي عنوانها'تراسل'،و بتراسل الحواس يسمع المشموم،ويرى المسموع و يتحول العالم الخارجي إلى مفهومات نفسية فكرية،ويتجرد من بعض خواصه المعهودة ليصير فكرة أو شعورا[3].

فالرمزيين يعتمدون في صورهم على معطيات الحس كأدوات تعبيرية الألوان والأصوات و اللمس، الحركة، الشم والذوق،لأن هذه المعطيات تكون رموزا معبرة وموحية فعندما تجتمع هذه الحواس تتخاطب فيما بينها،لأجل أن تؤلف لغة خاصة لا يفهمها إلا الشعراء.

---

[1]–محمد كامل حسين,ص95.

[2]–جميل إبراهيم أحمد كلاب,ص26.

[3]–نشيب نشاوي,ص462.

فالشاعر الرمزي دون إحساس رهيف،يلجأ إلى الطبيعة ليكسر ذلك الحد الفاصل بينه و بين الطبيعة فكأن عناصر الطبيعة تتغير من حالة ساكنة إلى متحركة،بحيث يصبح لكل عنصر في الطبيعة دور مهم،فظاهرة"تراسل الحواس"لم تأتي عبثا و تسلية،بل هي وسيلة فنية للإيحاء أو التعبير عن مكنونات النفس،و أعمال الإنسان،و حمل أفكاره و رؤاه الجديدة[1] و يمكن القول إذن بأن التراسل الحسي في تشكيل صور الشعر العربي المعاصر،تجلى أكثر في التعبير الجزئي أكثر ممّا تجلى في التصوير ذاته و أنه يفتقد تلك الرؤيا الشاملة التي ينهار عندها ما بين المدركات من حواجز طبيعية،و التي تختلط فيها الحواس اختلاطا مركبا و هو أمر لم يتوفر إلا لبعض شعرائنا ممن تأثروا بالنظرية الرمزية تأثرا عميقا،و حتى هؤلاء لم يحرصوا بصف دائمة على تصفية الصورة و إن وفقوا أحيانا في بنائها على التراسل المركب نستخدم فيه الحواس أو بعضها على سبيل التبادل[2].كما نجد'رامبو' اتخذ من التراسل السحري و الرقى إلى خداع الحواس و الارتفاع فوقها وسيلة لإنشاء الشعر عن طريق موهبة بصرية،و هو ما يتضح في إحدى رسائله التي قال فيها إن الشاعر يجعل نفسه قادرا على الإبصار من خلال الاختلاط الواعي و اللامحدود لجميع الحواس و في لغة خاصة هي لغة الروح من أجل الروح،لغة تلخص كل العطور و الأصوات و الألوان[3].

[1]–جميل إبراهيم أحمد كلاب,ص26.

[2]–محمد فتوح أحمد,ص334.

[3]–نفس المرجع,ص79.

د/الغموض :

لقد أصر الرمزيين على اللإبتعاد عن أسلوب الوضوح و الدقة و المنطق و المباشرة لأن هذه الأمور ليست من طبيعة الفن بل هي من طبيعة النثر و لغة التواصل العادية فالغموض يأتي بعدة أشكال منها التصرف بمفردات اللغة و تراكيبها بشكل غير مألوف أو التعبير بمعطيات الحواس عن طريق الإشارة والتلميح و ذلك لأجل الدفع بالقارئ إلى عالم الخيال و فتحه للتأويلات.

فظاهرة الغموض ليست جديدة في عالم الأدب،بل هي ظاهرة قديمة،تطرقت إليها كتب البلاغة و النقد العربي القديم،فمنها من دعا إلى الوضوح و استقبح الغموض الذي يصل إلى درجة الإبهام و الانغلاق غير مستحب و مرفوض و كذلك الحال مع الوضوح التام[1]، و ما يميز المدرسة الرمزية أن هذه الظاهرة"الغموض"تمثل سمة أساسية و خصيصة رئيسية من خصائصها لأن الرمز كي يكون رمزا لا بد له من قدر من الغموض الموحي تمنحه عمقا و تعددا في الدلالة و يجذب القارئ[2]،فالغموض يتجسد في الشعر عن طريق مجموعة من الآليات التي تساعده على إضفاء لمسة جمالية للشعر منها:الرمز،استخدام الاستعارات والكنايات،الابتعاد عن الواقع و الانغماس في الخيال .

[1]–جميل إبراهيم أحمد كلاب،ص29.

[2]–نفس المرجع،ص29

المبحث الثاني:

*أنواع الرموز.

*الرمز في الشعر العربي.

أنواع الرموز :

يزخر الشعر الغربي عامة و العربي خاصة بتوظيف الشاعر فيه للرمز بنوعيه:الخاص و العام،ففي العام كان الشاعر يلجأ إلى استعمال ثلاثة أنواع من الرموز:الدينية،التاريخية و الأسطورية كمورث مستقر في اللاشعور يجسده الشاعر عن غير قصد في واقعه،كما استعمل الرمز الخاص الذي كان الشاعر يجسده عن قصد منه،و ذلك باستحضاره للحاضر دون العودة للماضي فنجد أحسن مثال في ذلك توظيف المرأة كرمز يدل على الحنان و البحر،والبحر كرمز للمغامرة و المستقبل.

الرموز العامة:

1/الرمز الأسطوري:

لقد لجأ الشعراء الرمزيين إلى توظيف الأساطير في أشعارهم بكثرة و ذلك لأجل تحقيق الانسجام و التلاحم بين الإنسان و عالمه الخارجي،و فيها يكون التعبير بعيد كل البعد عن السطحية و اللغة المباشرة،فقد استعمل العرب الأساطير كوسيلة للتعبير عن الحضارات الماضية،كما عبر من خلالها البدائيون عن طقوسهم و حياتهم اليومية،فالأسطورة"تمثل عالما ساذجا بريئا،يقبله الناس و يلتفون حوله في كل مكان و في كل زمان و تمثل خلاصة تفكير و تأمل في الوجود و في الطبيعة،قائم على التعليل و التفسير عن طريق التخمين،دون

أساس عقلي منطقي،فهي نقيضة للتاريخ أو للعلم أو للفلسفة أو للحقيقة"[1].و عموما فالشعر وليد الأسطورة التي لم يكن الأقدمون ينظرون إليها باعتبارها وهما أو خرافة،بل بوصفها إحدى الحقائق الحدسية التي يرونها بعين خيالهم،على أن هذا المفهوم يتعرض في القرن السابع عشر و الثامن عشر،و فيها لا تعود الأسطورة حقيقة حدسية بل تصبح رواية أو قصة خيالية غير حقيقية من الوجهتين التاريخية و العلمية[2].

فقد" احتضنت الرموز القديمة عالم الإنسان الذي عاش في رحاب الثقافة الأسطورية، وانبثقت أساطير متنوعة من خلال ممارسة لطقوس الميلاد و الموت و شعائر التفكير و الخطر و الإباحة[3]. و هذا نجد أن عالم الأسطورة لا يخلو من التركيب و التنظيم الداخلي وهو تركيب تتداخل فيه الخصائص بحيث تظهر في الأسطورة كل أشكال الوجود بوصفها ذات مرونة و رشاقة مميزة،و تبدو هذه الأشكال محددة دون أن تكون منفصلة'،فكل شيء قادر على أن يتغير تغيرا عفويا،حتى و لو كان إلى نقيضه،و الوجود ذاته لا ينبغي أن يخضع لتغير مطرد في مظاهر متتابعة فحسب،و إنما يربط داخل ذاته في نفس اللحظة بين طبائع مختلفة متنافرة[4]،و نستطيع أن نقول أن وظيفة الأسطورة ليست تفسير الرؤيا الشعرية تفسيرا مجازيا بسيطا حتى تكون مجرد تشبيه حذف أحد طرفيه بل إن وظيفتها بنائية إذا صح التعبير،فهي من جهة تعمل على توحيد العصور و الأماكن و الثقافات المختلفة و مزجها بعصرنا و أجوائه و ثقافاته ثم من جهة أخرى تؤدي وظيفتها العضوية في القصيدة باعتبارها صورة

---

[1]–أمنة أمقران,الرمز في شعر مصطفى محمد الغماري,رسالة ماجيستر,باتنة,2009,ص79

[2]–محمد فتوح أحمد,ص288.

[3]–عاطف جودة نصر,الرمز الشعري عند الصوفية,ص35,

[4]–نفس المرجع,ص28.

شعرية،فإذا قرأنها حصلنا على خبرتين مزدوجتين في أن واحد،و ذلك غاية لا تتحقق إلا إذا استشف الشاعر روح الأسطورة،و لم يقف عند دلالتها الجزئية وفي هذه الحالة قد يكتفي بالتلميح إليها أو تلخيصها كما يعيد صياغتها من جديد[1]،و "كما يكشف الرمز الأسطوري عن نفسه بوصفه احتضانا للمتقابلات و تشبثا بالحاضر فإنه ينكشف لنا أيضا في هذه الهوية العتيقة بين الذات و الموضوع،بين الاسم والمسمى و تنبثق هذه الهوية من اندماج الشيء بمعناه و الرمز بموضوعه في وحدة عينية مباشرة"[2]،و على سبيل المثال نأخذ من بين تلك الرموز المنصبغة بالخيال الأسطوري،ما جاء تبريرا لظروف البيئة و المناخ،ففي منطقة ما وراء النهرين،أول البابليون هطول الأمطار و اهتزاز الأرض بالنبات بعد قحط و ظمأ شديدين،بتدخل الطائر العملاق الذي هبط لانقاضهم،فغطى السماء بسحب العاصفة الداجية التي انسابت من جناحيه،فالتهمت الثور السماوي الهائل الذي أحرق المحاصيل بأنفاسه الساخنة[3]،أما "الأساطير المصرية القديمة فقد قدمت عددا من الرموز للسماء حيث ظهرت في صورة بقرة في نفوس و تصاويرالجدران و المعابد و التوابيت"[4] و لهذا تبقى إذن "الأسطورة انعكاس للاشعور الجمعي،و هي بهذا الاعتبار مصدرا مشروعا للفنان و بخاصة بعد أن طغت آلية الحياة المعاصرة على الفكر المنطقي الواضح،فكان على الشعر أن

---

[1]–محمد فتوح أحمد,ص297.

[2]–عاطف جودة نصر,ص28.

[3]–نفس المرجع,ص39.

[4]–نفس المرجع,ص39.

ينصرف عنه إلى الحياة كما مثلها الإنسان القديم في أساطيره تلك الأساطير التي لم تعد أوهاما يهرب إليها الإنسان فرارا من حقائق الواقع القاسية"[1].

فعليه نستطيع أن نقول بأن"نجاح الرمز الأسطوري يرجع في الأساس إلى مقدرة الشاعر على استيعابه و الاقتناع به حتى يصبح بعضا من مشاعره"[2]

2/الرمز الديني :

لقد وجد الشعراء في مختلف الديانات مجالا ثقافيا يستلهمون منه رموزهم الفنية فكان التراث الديني مصدرا مقنعا و كاملا لأخذ رموزهم،خاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم أو السنة النبوية أو الكتاب المقدس كما يقال،فبغياب الإيمان أو السند العقيدي الأصلي للأمة يتبنى فكرها سندا عقيديا مجلوبا لسّد الفراغ،لأن الإنسان مفطور على إتباع عقيدة ما أو إيديولوجيا ما بالمفهوم الحديث،فكرا و سلوكا بوعي أو بغير وعي[3].

و بهذا ساهمت العقيدة في إغناء التجربة الشعرية فسعى الشعراء إلى تقديم رؤاهم في قوالب فنية جمالية،لهذا نجد أنه عندما تلتحم ثقافة الشاعر بالموروث العقيدي ينشأ شعر يزخر بالجمال هادف،فكل الحقائق و الآمال التي خالجت و تخالج قلوب الأجيال من المسلمين نجد أصداء لها قوية في عدد كثير من الآيات فالمسلم في حديثه و خطابه،و كل كتاباته وفي كل مناسبة من حياته،غير الصلوات يستشهد بأية من القرآن كما أن هناك عرفا أخر

[1]–محمد فتوح أحمد,ص288

[2]–نفس المرجع,ص301

[3]–أمنة أمقران,ص32.

يتجسد في تزيين بعض المنازل من داخلها بتدوين الآيات على الجدران أو عتبات البيوت،فهذه النصوص و الآيات تختار فضلا عن الحافز الفني و الديني تبعا لقوتها على إحياء الرمز القرآني في النفوس[1] ،فقد كان "توظيف الرموز الدينية في الخطاب الشعري تعطي للنص دلالات خصبة وتحيله تحيله على موروث حضاري زاخر،و استدعاؤها في اللحظة الراهنة يمثل التمسك بالماضي المليء بالصور المشرقة لأمتنا من أجل معالجة الحاضر و انكساراته،و محاولة إقناع المتلقي بدلالة هذه الرموز سواء كانت شخصيات أنبياء،رسل،أم صحابة،أم شخصيات دينية عرفت بموقفها عبر الحقب الزمنية المتعاقبة"[2] وعليه "يمكن القول أن الرموز الدينية كانت تشبع الإنسان و ترضى رغبته في المعرفة بما قدمت من تصورات لنشأة الكون و تفسير سحري لظواهره المتنوعة"[3].

3/الرمز التاريخي :

لقد عاد الشاعر إلى الواقع ليستلهم منه رموزا يشكلها حسب رؤيته و تصوره للحياة،فكانت المعطيات التاريخية صورة رامزة للواقع،فكان الشاعر هنا يتعامل مع الحوادث التاريخية أو الشخصيات بحذر شديد معتمدا في ذلك على وعيه الحضاري وثقافته فقد كان الشاعر يجد في "الرموز التاريخية مخرجا من أزمته الراهنة،فالتاريخ ليس وصفا لحقبة زمنية من وجهة

[1] آسية متلف,اشتغال الرمز الديني ضمن إسلامية النص رواية بياض اليقين لعميش عبد القادر نموذجا,رسالة ماجيستر,2006,ص69.

[2] –السحمدي بركاتي,ص102

[3] –عاطف جودة نصر,ص35,

نظر معاصر لها"[1]،و التاريخ باعتباره سلسلة من الأحداث التي تتنامى لتشكل عالما رحبا واسعا،هذا ما جعله"يوفر بحوادثه و شخصياته رموزا و أقنعة،يستخدمها الشاعر في التعبير عن أفكاره المتمردة لأنها تفتح عوالم لا نهائية من الدلالات الإيحائية تلقي بضلال كثيفة على القصيدة الحديثة"[2].

فقد كانت الرموز التاريخية في الخطاب الشعري الحديث عند السحمدي بركاتي عبارة عن سمة ظهرت عند شعراء الحداثة من أجل التعبير بها عن خلجات نفوسهم و التنفيس عن واقعهم المأزوم و المهزوم،لهذا يقول:وجدنا في شعرنا العربي العديد من الرموز التي أصبحت أقنعة يتراءى خلفها الإنسان المعاصر المطحون بالأحداث اليومية و هو في اعتماده الدائم على تلك الشحنة التاريخية المتقدة،التي ينهل منها شخوصه يحول شعره في مجمله إلى حكايات رمزية تحكى عن الحاضر من خلال الاستحضار الكثيف للماضي تتنوع الرموز التي يستدعيها في نصوصه بين الشخصيات و الأحداث التاريخية و الأماكن التي ارتبطت بقضايا إنسانية و قومية و غيرها و التي من شأنها إثراء التجربة الشعرية أكثر[3]. و"هكذا عدّ التاريخ مصدرا مهما للرمز التراثي،و معبرا ثريا لنمو الرؤيا الشعرية"[4]

فقد كان الشاعر يجسد رؤاه في قوالب شعرية يضمنها في قصيدته التي كانت تبحر في التاريخ القديم و المعاصر،و لأن الشاعر كان فاقد للإحساس بالزمن،وهذا ما دفعه لذهاب

---

[1]–أمنة أمقران,ص48.

[2]–أمنة أمقران,ص62.

[3]–السحمدي بركاتي,ص59.

[4]–أمنة أمقران,ص78.

في رحلة بحث مستمرة عن زمن يحقق وجوده و انتماءه،كما"تجلى الرمز التاريخي أيضا باستحضار شخصيات و مواقف من التاريخ الإسلامي،قصد إعطاء المفارقة بين الأمس و انتصاراته،و اليوم و انكساراته"[1].

[1]- السحمدي بركاتي,ص45.

الرمز في الشعر العربي :

لقد انساق أدباء العرب مع الحركة الرمزية الغربية و ساعدهم في ذلك وجود إشارات رمزية قديمة في تراثهم الأدبي القديم،و اطلاع المهجريين على الآداب الأوربية خاصة الإنجليزية و الفرنسية،ما فتح أمامهم أفاقا واسعة للتجديد بعد أن ثاروا على الاتجاه التقليدي الخطابي في الشعر الحديث فانطبعت أشعارهم بروح العصر و هاجرو الأساليب التقليدية

و المواضيع القديمة التي لم يعد لها نفع في عصرهم و بطبيعة الحال فإن المواضيع و الأحاسيس والانفعالات الجديدة و هذا ما تمثل في الشعر المهجري بامتياز الذي كان رومانتيكيا خالصا بلغته و رمزيا بإيحاءاته نتيجة الجو الحر الذي عاشه أولئك المهاجرين و الذي مهد لهم الطريق لرسم تأملاتهم بروح ثائرة و أخيلة مجنحة،فقد كانت"الكتابات الرمزية تشمل'ادغار ألن بو'الأمريكي و القصائد الرمزية للشعراء الفرنسيين بود لير،ما لارميه،فيرلين ورامبو كما تظهر في أعمال أرنست همنغواي الأمريكي،و دافيد هنري لورنس اللذين لا يصنفان بشكل عام كاتبين رمزيين،و هناك الشاعر الرمزي الايرلندي وليم بوتلرييس،و قد امتد تأثيرهم من ادغار ألن بو الأمريكي إلى بود لير الفرنسي إلى ييتس البريطاني الايرلندي إلى ريلكه الألماني إلى اندريه بلتز الروسي متجاوزا أوربة إلى الوطن العربي"[1]،من خلال هذا استطاعت معالم الرمزية أن تظهر و تتضح و ذلك بانتقالها من"أوربة إلى الوطن العربي عام1949 بفضل الدراسة الموسعة التي وضعها أنطون غطاس كرم يوم نشر كتابه 'الرمزية و الأدب العربي الحديث،وفيه أوضح الرمزية الغربية ببحث مطول،عرف فيه الرمز

[1]–نسيب نشاوي,ص467.

بحسب المفهوم الغربي،و عرض لأغراضه ثم تحدث عن الأجواء التي مهدت له،وظهور ترجمات كتاب 'فلسفة اللاوعي'لهارتمن،وفلسفة شوبنهور"[1]،لهذا كانت"المدرسة الرمزية العربية مذهب أدبي نشأ في الشعر العربي الحديث و توضحت معالمه في النصف الثاني من القرن العشرين عبر عن تجارب إنسانية ومعانات قومية،أو وطنية،أو اجتماعية أو نفسية....و فتح أفاقا جديدة في الآداب الإنساني ومازال يغني التراث العالمي في حدود مواصفاتها و مقوماتها الصحية"[2].

و قد تزامن ظهور قيمة هذا الرمز مع بداية الخمسينات،و بظهور مجلتي 'الآداب و الشعر'،هذا ما نجده عند السحمدي بركاتي في مذكرته و ذلك في قوله:"و مع بداية الخمسينات و بظهور مجلتي'الآداب و الشعر'بدأ العرب يدركون القيمة الفنية المتميزة للرمز في الشعر،رغم أن الدراسات النقدية المختلفة التي اهتمت بهذا المصطلح بقيت عند حدود التهويمات النظرية التي تستند إلى تنظيرات النقد الغربي ولم يستطع الشعراء مواكبة الواقع الشعري لتلتمس مدى قدرة الشاعر على تفهم الرمز و نجاح توظيفه في قصائده،ففي حين كان الرمز حديث النقاد و الشعراء في مجلتي'الآداب و الشعر'مركزيين على أهميته في القصيدة مستندين في ذلك إلى نماذج من الشعر الغربي الحديث،كان الشعراء أنفسهم مأخوذين بهذا الاعتماد الجديد و كأنه أصبح ينبغي على الشاعر أن يؤمن بضرورة وجود الرمز في شعره،لكي يكون شاملا وأن يحتوي شعره و قصائده على عدد هام من الرموز ولكن لم يتسن للباحثين الإحاطة بهذا الإنتاج الجديد إلا في الستينات و كانت الأسطورة تبدو

[1]–نسيب نشاوي,ص476

[2]–نسيب نشاوي,ص469.

أكثر دقة وتحديد من مفهوم الرمز،و لكن الرمز ظهر في هذه الفترة أكثر دقة"[1]،و لهذا نجد أنه عندما نتفحص"الشعر الحديث فسنجد أن الشعراء رغم تنوع اتجاهاتهم تنوعا كبيرا فإن شعرهم يحمل طابعا رمزيا لا يخطئه المرء"[2].

فقد كان الشعر العربي حافلا بتوظيف الرموز بمختلف أشكاله و صوره لهذا،"لا يمكن تحليل ظاهرة الرمز في الشعر العربي الحديث إلا إذا استقصينا مفهومه في الشعر العربي القديم،غير أن الشعر العربي القديم لم يعرف الرمزية بمفهومها الذي ذاع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،و إنما عرفوها بمفهومها البسيط،أي المجاز بألوانه البيانيةالمعروفة كالشبيه و الاستعارة و الكناية التي لم يمسها الغموض إلا قليلا و في مواطن محدودة و ذلك لأن الشاعر العربي القديم كان أميل إلى الوضوح و الواقع منه إلى الغموض و التجريد"[3].

و على هذا الأساس إذا أردنا أن نلمس الرمز في مظاهر الشعر العربي القديم وجدنا عناصره تخاطبنا من وراء حجاب المجاز في أرقى أشكاله و هي الاستعارة التمثيلية أو الكناية أو التشبيه[4].

و عليه"أعطى الشعراء المعاصرون و الكتاب اهتماما بالغا للغة و صاروا على وعي كاف بوظيفتها التي تتجلى في الطريقة التي تمارس بها الكلمات والطريقة التي يكشف بها عن الحقيقة من خلال استخدام طاقات اللغة،بحيث لا تصبح الكلمات تدل على شيء معين،أو

---

[1]–السحمدي بركاتي,ص19.

[2]–تسعديث أبت حمودي,أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم,ط1,لبنان,بيروت,دار الحداثة,1986,ص42.

[3]–السحمدي بركاتي,ص16.

[4]–نفس المرجع,ص18.

وسيط أو أداة بقدر ما تصبح هي نفسها تحمل وجودا بأكمله،و هذا الاعتقاد في الحقيقة هو امتداد لجهود الرمزيين في إيمانهم بأن مفهوم الخلق في عملية الإبداع الفني مرتبط بضرورة تجديد اللغة و بقدرة الفنان على استعادة الصيغ المبتذلة"[1].

لقد كان "جبران خليل جبران"مدينا لظهور الرمزية العربية،هذا ما نجده عند 'مارون عبود' الذي يرى أن جبران هو مؤسس المدرستين (الرومانتيكية و الرمزية)،يقول الدكتور محمد فتوح أحمد أنه يمكن إرجاع الأسس الفنية التي بنيت عليها رمزية جبران إلى ظاهرتين رئيسيتين هما:أولهما ما لمسه الدارسون في أدب جبران من شفافية الأسلوب والاعتماد على كثير من التعابير المستحدثة،أما ثانيها فهي جنوح جبران أحيانا إلى الحوار و القصص الرمزيين متخذا من الأشخاص و الموضوعات رموزا لأفكاره و مشاعره[2].

[1]–تسعديث أبت حمودي,ص43.

[2]–محمد فتوح أحمد,ص185,186.

الفصل الثاني :

*الرمز في الشعر الجزائري المعاصر.

*أهم الرموز المستعملة لدى الشعراء الجزائريين

وأخذ ديوان"السفر في الكلمات" لعقاب بلخير نموذجا.

الرمز في الشعر الجزائري المعاصر:

لقد اتجه الشعر العربي الحديث و المعاصر لمعانقة الرمز كملمح فنّي رغم ما أحيط به من غموض و تستروا وراءه لمعالجة قضايا راهنة واستعانوا في ذلك بأدوات تصويرية و لغوية حاولوا بها ملامسة المعنى و التأثير في المتلقي[1] و الشعر الجزائري هو الأخر حاول مواكبة هذا المدّ الفنّي الجديد منذ ظهوره في الشعر العربي و هذا طبعا ناتج عن انفتاح الشعراء الجزائريين على المشرق العربي و ترقب الجديد،فقد أولعوا بالرمزية إلى حدّ الغموض حيث يرون فيه جمالا فنيا لا يتحقق إلا في المعاني الخفية إذ يشبهون الرمزية في نتاجاتهم الشعرية بأنها(كالعينين الجميلتين من وراء نقاب)و كان للرموز و الأساطير التي أولعوا بها منذ سبعينات القرن الماضي و لحدّ الآن أثر كبير في غموض القصائد الشعرية[2]،فقد"أدرك الشعراء الجزائريين المعاصرون أكثر من سابقيهم ما في الرمز من امتلاء و خصوبة وما فيه من طاقة في أن يفتح أمام الشاعر و القارئ معا فيضا من الإيحاءات التي لا تنتهي إذا أحسن الشاعر استعماله"[3]،ولعل للجوء الشعراء الجزائريين إلى توظيف هذا النوع من الظواهر في صورهم و تعابيرهم وقناعتهم بأن لغة الشعر يجب أن تبتعد قدر الإمكان عن الوضوح و التحديد فوجدوا أن الرمز وحده هو الذي يضفي على لغته مسحة من العمق والشفافية و الإيحاء و بعين الصورة لكي لا تكون تشابها بين شيئين[4].

---

[1]–مجيد قري,مسار الرمز و تطوره في الشعر الجزائري الحديث,رسالة دكتوراه,جامعة الجزائر,2009,ص14.

–فالح الحجية,الرمزية في الشعر العربي المعاصر بين الحداثة و الغموض,أصوات الشمال الراشدية,السبت11أفريل 2015http :w .w.w.rachidia.net

[3]–السحمدي بركاتي,ص26.

[4]–نفس المرجع,نفس الصفحة .

فجمالية المعنى إذا لا يتحقق في مباشرة الأسلوب والكلام بل في المعاني الخفية عن طريق توظيف الرمز في المتن الشعري،فقد سعت المتون الشعرية الجزائرية إلى توظيف الرمز في بناء متنوع كما أعطوا لبعض الرموز دلالات جديدة صبغوها برؤاهم[1].

منه "فالشاعر الجزائري في توظيفه للرمز يستخدم تارة رموزا معروفة لدى الشعراء مستلهمة من التراث الإنساني بشكل عام،تحمل دلالات معينة كالقصص الأسطوري الملحمي و الغنائي،و التراثي و التاريخي يستعيدها الشاعر فيكسبه طاقات إيحائية جديدة وينفخ فيها الرّوح فتتماهى مع نصه،مشكلة بذلك قناعا يبث من خلاله أفكاره و يعبر عن مواقفه و رؤاه و أحيانا يستخدم رموزا خاصة يرتقي بها إلى مستوى إنساني أشمل،فيبعدهي بذلك عن الذاتية و بالتالي عن الغموض فيكون رمزا"[2]فمثلا "شعراء المرحلة التحريرية يرمزون إلى الشعب الجزائري 'المجاهد'بالنسر و العملاق و المارد،كما يرمزون إلى 'الاستعمار'بالغول و الإخطبوط و التنين التمساح،الأصنام،الفئران،العنكبوت،الغربان وبالليل و الظلام.الدببة،الريح،الخفاش و كل ما من شأنه أن يوحي بالمكر و الخداع،الفظاظة و التقزز،البشاعة والكراهية،بينما نجده في الوقت ذاته يرمزون إلى الحرية و الانطلاق و المستقبل الواعد بالقمر النور الفجر،الشعاع و ما إليها من الألفاظ الموحية بالطمأنينة و الرضي،البهجة و الأمل"[3]،كما نجد استعمال الشاعر الجزائري لرموز أخرى كرموز الأعلام و الأمكنة سواء المحلية أو العالمية و ذلك حسب الحالة النفسية للشاعر أو وفق ما يستدعيه

---

[1]–مجيد قري,ص15.

[2]–السحمدي بركاتي,ص31.

[3]–نفس المرجع,ص28.

موضوع القصيدة و لكن الشعراء الشباب يميلون بشكل لافت إلى توظيف الرموز العلمية خصوصا بعض الشخصيات المعروفة بنضالها ضدّ الظلم و الطغيان،بالإضافة إلى رموز الأساطير محاكين في ذلك الأدباء المشارقة،و من بين الشعراء من استخدم رموزا لهادلالتها العميقة في ذاته و ترتبط ارتباطا وثيقا بتجربة نفسية عاشها[1]،و من بين"الرموز الخاصة التي وظفها الشاعر الجزائري،رموز الطبيعة و يعتبر اللون أهم أنواعها في الشعرالمعاصرتحديدا اللون "الأخضر"الذي يحضر بكثافة عند الغماري مشكلا سمة التميز في شعره حيث ارتبطت سميائية الاخضرار في خطابه الشعري برؤيته للعالم لفي تعالق بالعرفانية من خلال تعبيره،إضافة إلى رموز أخرى شكلت حضورا في الشعر العربي إجمالا كرمز 'الريح' الذي يمكن اعتباره ثاني رمز يستقطب الشعر الجزائري بعد اللون،و'الريح'عامل طبيعي مهم ارتبط بالإنسان منذ القدم،فحمله دلالات متعددة ترتبط كلها بالريح كمؤثر طبيعي من شأنه أن يغير و يهدم ذلك أن عملية الهدم تعدّ إحدى مصاحبات التغيير،و شعراؤنا في توظيفهم للريح لم يخرجوا عن هذا المفهوم و الدلالة"[2]،رغم كل هذا يبقى"حبّ الوطن" الموضوع الرئيسي الذي طالما شغل بال الشاعر الجزائري المعاصر وهذا بمسايرته للثورة الخالدة الكبرى التي نمت أحداثها روح الشاعر و عمقته بمآسيها حتى صار هذا الوطن مقدسا إلى أقصى درجات القدسية،و لذا صار الشوق إلى الوطن عاطفة سامية لأنّ الوطن لا يمثل التراب فقط بل يمثل كيان الإنسان الرّوحي و المادي و استمراره في الحياة،بل إنّه رمز الحرية و الانطلاق

[1]–السحمدي بركاتي،ص36.

[2]–نفس المرجع،ص53.

و هذا التعلق بالوطن قد يعكسه البعد و الغربة فيشتدّ حنين الشاعر و هذا الملمح عرفناه خاصة لدى شعراء المهجر.[1]

و عليه فإنّ مستويات الرمز الفني في الشعر الجزائري تختلف من حيث العمق و كثافةالإيحاء بين جيل و جيل و من شاعر لأخر،بل من قصيدة لأخرى تبعا لاختلاف اتجاه الشاعر الفنّي و رؤيته للواقع،و درجة ثقافته في التراث و في اللغات الأوربية الحديثة ومزاجه الشخصي أيضا،لكن ذلك لا يعني إقامة حدود أو فوارق صارية بين اتجاه و أخر كما يفهم من كلام بعض الدّارسين[2]

[1]–مجيد قري,ص25.

[2]–السحمدي بركاتي,ص26.

أهم الرموز المستعملة لدى الشعراء الجزائريين و أخذ ديوان "السفر في الكلمات"لعقاب بلخير نموذجا.

1/الرموز الأسطورية:

وهي من أكبر الرموز شيوعا في الشعر العربي عامة و في الشعر الجزائري خاصة،فقد اتجه الشعراء المحدثون إلى توظيفها بشكل كبير،ويعتبر المنطق أحد مظاهرها و هي تنقل بعض تناقضات الماضي و إغراقه في تفسير الظواهر و اتكاءه على الفوارق الخارقة(فقد ضلت الأسطورة موردا سخيّا للشعراء في كل عصر،و في كل بقعة يجسّدون عن طريق معطياتها الكثير من أفكارهم و مشاعرهم في الأسطورة من طاقات إيحائية خارقة[1]،و من الأساطير الكثيرة الاستعمال في الشعر العربي ككل نجد أسطورتي"السند باد"و"سيزيف"و أساطير أخرى أقل شيوعا نابعة من مصادر كثيرة كالحضارة اليونانية و البابلية و التراث العربي القديم بصفة عامة مثل:أدونيس

عشتار،تموز،العنقاء،خالد بن الوليد،امرؤ القيس و أمون[2]

أ)السند باد البحري:و هي الشخصية الأسطورية التراثية المعروفة بالاغتراب الدائم و حبّ التجوال المستمر و المغامرة و البحث عن الجديد و المثير و الثراء و رفض الواقع[3] من ثمّ العودة إلى الديار لإحداث التغيير و لعل حضور السند باد البحري الأسطوري في

[1]–مجيد قري،ص124.

[2]–السحمدي بركاتي،ص126.

[3]–نفس المرجع،ص126.

الشعر العربي المعاصر له ما يبرره بحكم ما أصبح يعنيه للشعراء وجعله معادلا موضوعيا ثمّ إلباسه ثوب العصر و صبغه بوسائط فنيّة يدمجه الشعراء مع ذواتهم و في تجاربهم الجديدة فيصبح سندباد العصر هو الأقدر على مواجهة هذا الواقع بتناقضاته[1]

و الملاحظ على الشاعر المعاصر أنه حينما يذكر أحد الرّموز الأسطورية يذكرها مباشرة بطريقتين:الأولى أن يوظفها بطريقة مباشرة أي يذكرها مباشرة بدون لفّ ودوران و يلبسها ثوب العصر ثم يدمجها بما يتناسب و تجربته الشعرية

الثانية قد وبعمد فيها الشاعر إلى الإيحاء و الرّمز و ينأى عن ذكرها مكتف بذكر خصائصها متكئ في ذلك بذكر بعض الوسائط الدلالية أو اللغوية الإيحائية التي تجعل الأخر يستطيع التعرّف عليها بسهولة،و هذا تماما ما قام به"عقاب بلخير"في قصيدته "تغريبة السند باد" التي يقول فيها :

"قادما من عمق مأساتي لمأساتي أغنّي

خيط شعر

و رموزا صعدت للرّيح أطيار جزئيه

و أنا أحفظ للذكرى أغاني

لم تذوق طعم الخطيئة

أيهما الرّيان يا بحرا بلا قلب و يل ذكراك أنت

[1]–مجيد قري,ص125.

لم تعد تشرق عيناك من المشرق أو صمتي

يدوّي وسط صوتي

وعلى كفيّ شراع الليل مكسور و ضوء

الشمس في قبضة كفيّ

وأنا جغرافيا ترسم للبحر عيونا

و تمد الساق تمدّ لعل الله يحيينا لعلّ "[1].

يتبين لنّا بوضوح في هذه الأبيات توظيف الشاعر لهذه الأسطورة إذ استثنينا العنوان الذي افتتح به قصيدته ففي ثناياها لم يذكرها كلها بل ذكر الرّموز اللغوية التي توحي إلى"السند باد' مثل:الربان،الريح،شراع،البحر،جغرافيا،و غيرهاوهذا ليس عفويا بل هي رغبة من الشاعر في توظيفهاباسلوب أعمق و أدق و إن كان غير ذلك فسيكون مجرّد توظيف ساذج و غير ملفت،ففي هذا المقطع نلاحظ نبرة الشاعر الحزينة و المتألمة من خلا العبارات و الألفاظ التي استخدمها و الدّالة على الألم الحادة و مرارة الغصة التي يحسها الشاعر في زمن لا يحكمه منطق و لا برهان كالمأساة،الدّموع،الخطيئة،بلا قلب،مكسورة،فهو يحاول من خلال هذه الشخصية الأسطورية أنّ يعبّر عن مأساته وألمه الحادّ و رغبته في تغيير هذا الواقع والمجتمع تماما كما فعل"السند باد البحري"بعد عودته إلى الدّيار و هذا ما يوضحه لنا قوله:"و تمد الساق تمد لعلا الله يحيينا لعلا"،إذ أنه يتوسل لله سبحانه و تعالى أن يحييه و يطول عمره عساه يغيّر شيئا من واقعه و مجتمعه.

[1]–عقاب بلخير,السفر في الكلمات,منشورات إبداع,1992,ص30.

وفي مقطع أخر من نفس القصيدة فنجد الشاعر يوظّف هذا الرّمز الأسطوري بطريقة مباشرة يقول :

"أغنية السند باد:

فارس الغفلة قد عاد فقومي

مشطي شعر الحرير

و بماء الورد روي خدك العطشان للماء الغزير

واجعلي من كلّ لون فستانك شدى

حول عنق حزامك

واحرقي كلّ البخور

فارس الغفلة لم يربح و قد عاد من الدّرب الأخير[1]

إنّ السند باد هنا ليس هو ذلك الشخص المسافر بغرض التجوال و المغامرة بل هو ذلك الفارس العائد من الحرب لكنّه ليس منتصرا بل منهزما،فهو بذلك إحالة إلى المجاهدين والجنود المحاربين في سبيل الوطن،و هم و إن لم ينتصروا في الحرب إلاّ أنهم يعودون إلى الدّيار ليجدوا أهاليهم ينتظرونهم بلهفة و اشتياق.

وهناك نماذج جزائرية كثيرة وظفت هذا الرّمز الأسطوري بأساليب متنوعة تتناسب مع تجاربهم وحالاتهم النفسية نذكر من بينها محمد بن مريومة الذي يقول:

[1]-عقاب بلخير ,ص33.

"ولدي رفيق الشمس في قطع المدار

كالسند باد يهيم في عمق البحار

تدمى يداه من المحار

والجرح يفتح فاه/يلتهم الحديد

لا يحمل الأحقاد /في دمه العنيد"[1].

و كذالك نجد مصطفى محمد الغماري الذي يقول:

"و إنّ سافرت في الأبعاد

ضوءا يسكن الحدقا

و يعشق في ميادیني الضحى و الله و الشفق

وكان الله

كنت بهذا الدرب يا سادة

أمدّ صلاته للجيل

أطوي كونه

وألم أبعاده"[2].

[1]–محمد بن مريومة,المغنى الفقير,المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر,1985,ص89.

[2]–مصطفى محمد الغماري,أسرار الغربة,الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر,1977,ص94.

و يّعد استخدام رمز "السندباد البحري"و الرحلة و السفر سمة من سمات الشعر بشكل عام و لاستخدامه هذا الرمز الأسطوري التراثي دور فعّال في تكثيف التجربة الشعرية و تعميق الفكرة و بلورة الإحساس وإضفاء عنصر التشويق على عالم النص[1].

ب)سيزيف : و هي أسطورة يونانية استلهمها الشعراء الجزائريين في قصائدهم بشكل كبير باعتبارها تحمل معاني إنسانية و دلالات عميقة فهم يصورون من خلالها وضعية إنسان هذا العصر و معاناته مع صخب الحياة وسطوة المادة و تراجع الرّوح فسيزيف حامل الصخرة ورمز المعانات الأبدية و الذي قبل بقدره و مصيره لأنه لم يكن له خيار مع الآلهة أصبح الآن رمزا للعذاب الإنساني و الصبر[2].

لكن هذا الرمز أخذ منحى أخر عند الشعراء الجزائريين المعاصرين و هذا ما يظهر في تجربة'عقاب بلخير' مع هذه الأسطورة يقول :

"أين سيزيف يعبئ القفل يحيا

يحمل الشمس و لا يعرف سرّه

قدر المكلوم في هذه الحياة

قدر المشتاق لا يدرك صبره

قدر الميت في صمت الرّفاة

[1] –لحسن عزوز,الرمز في ديوان,أوراق الغرفة للشاعر أمل دنقل,رسالة ماجيستر,نقلا عن مجيد قري:مسار الرمز و تطوره في الشعر الجزائري الحديث,ص134.

[2] –مجيد قري,ص142.

فتعلم أيها الحبّ احتمالا

لست وحدك

يعاني و هو مكلوم

أنها الشمس تنادينا تعالوا

من وراء لحجب ذوبوا في مصلحتي التي عمره"[1].

فالشاعر هنا لجأ إلى توظيف هذه الأسطورة بطريقة مباشرة و ذلك بأن ذكر اسم هذه الشخصية'سيزيف' على أنه لم يذكرها في ثنايا القصيدة كما هي معروفة تماما كما بل كما أسلفنا الذكر صبغتها بوسائط فنية دمجها مع تجربته الجديدة،فسيزيف كما هو معروف صمّم على رفع الصخرة إلى القمّة و ضل يعاني المشاق و يكابد الصعاب إلى أنّ وصل بها إلى بداية القمة و إذا بالصخرة تتدحرج لتعود إلى سفح الجبل و يعيد'سيزيف'الكرة و هكذا...لكن سيزيف في القصيدة لا يحمل الصخرة بل يحمل الشمس و هي طبعا أشد قساوة و هذا من دون أن يشتكي بل على العكس هو مصمّم على تحمل الصعاب و العذاب و الألم رغبة منه في بلوغ هدفه و كلا من الصخرة و الشمس رمزان مختلفان لكنهما يصبان في نفس المعنى ألا و هو المعانات و الألم و الصراع مع الواقع الذي يحكمه اللامنطق و الاستبدادية فالصخرة في الأسطورة ثقيلة لكنّ رغم ذلك سعى سيزيف إلى إيصالها إلى قمة الجبل،لكنّ الشمس نار حارقة بل هي كرة لهيب فكيف لشخص عادي أن يحملها بين يديه،و هكذا

[1]–عقاب بلخير,ص22.

فالشاعر يحاول أن يفهمها و يبيّن لنا أن معانات الإنسان المعاصر أشدّ و أكبر ممّا كانت عليه من قبل و قد يكون بلوغ هدفه مستحيلا في غالب الأحيان،و لعل استحضار الشاعر لهذه الأسطورة بدافع رسم هذه الصورة لواقعنا المعاش و هذا ما يوضحه قوله،"يعاني و هو مكلوم بجمره"،فالإنسان في عصرنا يعاني و يكابد الصعاب و يواجه واقعه كما هو لكن من دون أن يصل إلى نتيجة وهو نفس ما ذهب إليه الشاعر الكبير 'حمري بحري' حينما وظف هذه الأسطورة في قصيدة من قصائده قائلا :

"سيزيف يحيا في نزيف الحجر

يأكل خبزا يابسا

يصعد دربا

ينزل دربا

سيزيف يحيا في نزيف الحجر

تفتح عيناه و يمشي صامتا

بين الصعود و النزول

يحلم بالحبّ و أشياء كثيرة[1].

[1]–حمري بحري,ما ذنب المسمار يا حشبة,ص103,104.

يبقى" سيزيف"حامل الصخرة،رمز المعانات الأبدية و رمز العذاب الإنساني المتواصل الذي استطاع أن يحتضن كثيرا من الهموم الحاضرة،و قد استطاع الشعراء الجزائريين المعاصرين أن يعكسوا من خلاله وضعية الإنسان المعاصر و صراعه مع صخب الحياة وفوضاها.

2/الرموز التاريخية:

لقد عرف الشعر الجزائري في فترة السبعينات وبعدها ميزة فنية جديدة ألا و هي توظيف الرموز التاريخية،و التي تظم الرموز الدينية و التراثية و السير الشعبية و أسماء الشخصيات التي كان لها أثر كبير و بارز في تاريخ الإنسانية[1]،و تعتبر الرموز التاريخية بمثابة المخرج من الأزمات الرّاهنة لكن بما يتوافق مع أبعاد التجربة الخاصة،و التاريخ ليس وصفا لحقبة زمنية معينة من وجهة نظر معاصر لها،بل هو إدراك إنسان معاصر أو حديث[2]،و التاريخ الجزائري حافل بالأحداث و الشخصيات التاريخية التي من شأنها أن تغنى المتن الشعري الجزائري.

و بهذا فالشعراء الجزائريين لهم امتدادات عريقة شرقا و غربا ممتدة في الماضي السحيق حتّى التاريخ القريب تاريخ الثورة الجزائرية العظيمة وما ارتبط بها من قدسية الذكر[3]،و تعتبر قصيدة"كلمة حبّ للوطن" لعقاب بلخير نموذج حقيقي لهذا النوع من التوظيف و هذا من خلال التوظيف الكثيف فيها للرموز التاريخية المحيلة إلى ثورتنا المجيدة يقول الشاعر:

---

[1]–السحمدي بركاتي,ص43.

[2]–أمنة أمقران,الرمز في شعر مصطفى محمد الغماري,رسالة ماجيستر,جامعة باتنة,2009,ص48.

[3]–مجيد قري,ص162.

"يا فرنسا أصيغي لهذا الدعا

نغمات تغازل في غضبة إصبعا

قد سرى المجد في إثرنا

فغذى المجد قائدنا المصقعا

ثورة باركتها السماء

أنجبت الدهر منها نفمبر فإحتال بالنار مذ لعلما

قرأتها الجبال و رشاشنا أبدعا

و تخضبت الأرض من حسنها

بدم و رماد و كانت بغيربلقفا

هذه يا جزائر

فاستجيب شعبنا

وانفطم أيها الخزن فينا و مت

فالذي يعرف البندقية يعرفني

و يناطح زبدي و يحملني"[1].

إذن نبرة التحدي و الثورة و الاعتزاز بتاريخ ثورتنا واضحة و ظاهرة عند الشاعر في هذه الأبيات من خلال الألفاظ القوية و العبارات الدالة و التي نذكر من بينها(فرنسا،المجد،ثورة قائدنا،رشاشنا،دم ورماد،صيحتنا،استجب شعبنا لندا،البندقية،زبدي..)إذ أنها نابعة من روح الشاعر الوطنية و اعتزازه و افتخاره بإنجازات أبطالنا الشهداء و المجاهدين في ثورتنا المباركة الذين استخدموا كلّ الوسائل بغرض تحقيق المجد والحرية،فالرمز التاريخي إذا حاضرا في هذه القصيدة من خلال استحضار تاريخ وطننا المبارك،كما يتبين لنا من الوهلة الأولى ذلك التناص لعقاب بلخير مع شاعر الثورة "مفدي زكرياء"من توظيف أسلوب النداء الموجه خصيصا لفرنسا أو المحتل في ديوانه'اللهب المقدس' الذي يقول فيه الشاعر:

"يا فرنسا قد مضى وقت العتاب

وطويناه كما يطوى الكتاب

يا فرنسا ذا يوم الحساب

فاستعيدي و خذي منّا الجواب"[2].

فرغم أنّ عقاب بلخير لم يستخدم هذا التناص بشكله الدقيق الذي يظهر فيه نفس المفهوم إلاّ أنه تناص معه في الأسلوب و الطريقة المتمثلة في النداء وكذالك نبرة التحدّي و إن كانت

[1]–عقاب بلخير,ص40,41.

[2] –مفدي زكرياء,اللهب المقدس, منتديات W.w.w.startimas.com.

مختلفة بينهما إذ أن"مفدي زكرياء"شاهد على الثورة بل و قد كتب هذه القصيدة و هو في الزنزانة،هذا ما يعني أن تحديه للعدو أقوى،أما عقاب بلخير فيقف موقف المعاتب للعدو و في نفس الوقت الاعتزاز و الافتخار بإنجازات أبطال الثورة،و في نفس السياق نجد الشاعر يختتم ديوانه بقسم مفاده البقاء صامدين أمام الأعداء وأمام كل الظروف يقول:

قسماباالحزن والدمعة والنار*** التي ترسم لون المأساة

قسماباالفرحةالكبرى بأيام ***التمني الذي يمضي ويأتي

سوف أبقى عتيا أحمل أبعادي*** وأحيا لك كل اللحظات[1]

فالقسم يعتبر بصمة خاصة يضعها الشعراء في دواوينهم و ميزة فنية تميّز بها الشعراء الجزائريين المحدثين و المعاصرين لأنه يعبر عن روح المقاومة و التحدي في وجه الظروف و الأعداء.

يتبين لنا كذالك رمز تاريخي أخر في قصيدة أخرى من نفس الديوان و هي "شمس وحياتك عندي" يقول الشاعر فيها :

أيها النائم في مخبئك السري *** قم لن يطلب النائم ثارا

بدأ بلاؤنا رمل مبانينا عيون **** لم تزل تبكي الدمار

و ذري الريح بقايانا فأمسينا *** هثيما أوقدته النار نارا[2]

[1]–عقاب بلخير,ص48.

[2]عقـا ب بـلـخيـر ,ص17 .

فقد استخدم الشاعر هنا النّداء لكن بأسلوب أخر فهو ينعت العدو بالجبان و الضعف و الهون من خلال الرمز 'المخبأ السري'،كما يتبين لنا أيضا في هذ الديوان التوظيف الكثيف للرمالتاريخي'الفارس'الذي يظهر خاصة في قصيدة "رحيل"يقول:

إنه البحر الذي يحمل بين الموج و الريح رفاة الفارس الأغبر مملا

و تلافق أيها البحر لأطويه بأيد تتحسر

وعلى مدى الرؤى في كل شبر كنت تأتي لاهي عيناك نجم

ألم عين لم تزل تنظر إلى ألف سؤال لي عن الفارس الأغبر هل حقا سيظهر

لم تبقى دون كل الناس يا حبّي تناديني بصوت يتكسر

كنت يا أبهى من الأبهى قليلا

كنت يا أجمل من أجمل منظر

تستقي من ماء عيناك و تحيا"[1].

إنّ رمز'الفارس' في هذه القصيدة يحيل حتما إلى شخصية الأمير عبد القادر المعروفة بنضالها وصرامتها و قوتها و قدرتها على جلب العديد من الهزائم للعدو،إذ أن الشاعر في صدد إعطاء وصف جميل و موحي فهو الأجمل من أجمل منظر،والأبهى من الأبهى،و هو نفس ما ذهب إليه الشاعر'عمار بوجمعة' حينما استدعى شخصية الأمير عبد القادر في قصيدته التي يقول فيها :

[1]–عقاب بلخير,ص24.

"ها أنّي أضع يديّ على حجر القيطنة

و أحاذر صوتك في مسيرة الركبان

كي أطلعك على جمرة أسراري

في الليل

و في سبيل تبصرها

تشرف في بسالة الفرسان

فقد تغنّى الشعراء بهذه الشخصية التاريخية المناضلة و القوية نظير ما قدمه من جهاد في سبيل الوطن،و لذلك غالبا ما نجد الشعراء الجزائريين يتحسرون على النهاية المأساوية لهذه الشخصية البطلة و يعتبر'مفدي زكرياء' من أحسن النماذج التي خلدت التاريخ الجزائري و الثورة الجزائرية خاصة،فقد خلدّ الثورة و أشخاصها و أحداثها واحيانا من خلالها الماضي و التاريخ و الأمجاد السابقة يقول

"دعوا ما سينيسا يردد صدانا *** ذروه يخلده زكي دمانا

وخلوا'سفاكس'يحكي لروما ***** مدى الدهر كيف كسبنا الرهان[1].

[1]–مفدي زكرياء,إلياذة الجزائر,المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر,1987,ص21.

و يقول أيضا :

"أشر شال هلا تذكرت 'يوبا ****و من لقوا عرشك القيصرية

ومن مصروك فنافست روما **** و شرفت أقطارنا المغربية

لماذا يلقب 'يوبا' بثان ؟ **** أما حقق السبق في المدينة[1].

ومن المحاولات التي تمثلت كذلك الرمز و وظفته توظيفا حديثا وفق المواقف الراهنة نجد: مصطفى محمد الغماري الذي يقول :

"قتلوك يا سيف الحسين ويا أصالة ذي الفقار

و تواثبوا حقدا عليك تلفعوا شيم التتار

قتلوك يا رمز الشهادة في مسافات الفخار

أنت الخلود،قتلوك الليل يصلبه النهار

أنت النهار[2]

فالتاريخ بحوادثه و شخصياته رموزا و أقنعة يستخدمها الشاعر في التعبير عن أفكاره المتمردة لأنها تفتح عوالم لا نهائية من الدلالات الإيحائية[3]

[1]–نفس المرجع,ص25.

[2]–مصطفى محمد الغماري,عرس في مأتم الحجاج,الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر,1982,ص95.

[3]–أمنة أمقران,ص64.

3-الرموز الدييينية:

من الرموز الشائعة و الكثيرة الاستعمال في الخطاب الشعري الجزائري نجد الرموز الدينية التي أخذت حيزا كبيرا في هذا الأخير"إذ أن توظيفها يعطي النص دلالات خصبة و تحيله على موروث حضاري زاخر واستدعاؤها في اللحظات الرّاهنة يمثل التمسك بالماضي المليء بالصور المشرقة لأمتنا من أجل معالجة الحاضر و انكساراته و محاولة إقناع المتلقي بدلالات هذه الرموز سواء كانت شخصيات الأنبياء أو الرّسل أو الصحابة أو شخصيات دينية أخرى عرفت بمواقفها عبر الحقب الزمنية المتعاقبة[1]،و الرموز الدينية أنواع :

*الرموز العادية من جهة مثل:العلم رمز بلد ما الحمامة رمز الوداعة، الثعلب:رمز الخداع والمكر اللون الأخضر:رمز السلام .

*و من جهة أخرى،هناك المجموعات الرمزية أي"بيئة الرموز التي يجمعها تجانس قوى جدا و تنشأ من عدّة مستويات للمعنى دفعة واحدة و مثال ذلك القران الكريم الذي يعنى بشكل عام قراءة أو دعوة فهو يحتوي نصا تلقاه النبيّ محمد صلى الله عليه و سلم وبلغه و هكذا فهو يمثل الديانة الإسلامية،فهو ميثاق و مرجع شرعي لرجل الدّين و الناس أجمعين[2] و تجدر الإشارة إلى أنّ كل ديانة تنفرد برموزها الدينية الخاصة فنجد مثلا المسيحية تتلخص

[1]-السحمدي بركاتي,ص102.

[2]-أسيا متلف,ص70.

في مريم العذراء،السيد المسيح كرمز للتفكير عن أخطاء البشر و رواية سيدنا نوح و الطوفان و بهذا فإن استخدام رموز دينية تحيل في أغلب الأحيان إلى عقيدة الشاعر الدينية[1]

يمكن استخلاص بعض الرموز الدينية التي وظفها "عقاب بلخير" في ديوانه فنذكر على سبيل المثال قوله في قصيدته'كسور على ذاكرة الزمن':

"لم يكن وحي نبّي يبتلى أو *** قطعة بيضاء من ذاك الرّداء

هو لم يعرف قيودا مثل كل الناس *** لم يعرف حدود للسماء

مازجا عنصره بالقمح بالتين *** بعمق البحر آت من عماء

تصنع الأحرف من منبعه لفظ *** التمني و معاني الانتماء

سأسميه شهيدا قال للشمس أضيء *** ومضى ذات مساء[2]

فقد عمد الشاعر في هذه الأبيات إلى استحضار شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم بذكر المكانة المتميزة و المرموقة التي أعطاها الله له بين سائر الأنبياء والناس أجمعين،و هي إحالة كذالك للمكانة التي منحت للشهيد في سبيل الله و الوطن،فالرسول صلى الله عليه و سلم ليس كغيره من عباد الله روحه تكاد ترفرف في السماء من شدة خفتها و طيبتها و كذالك بالنسبة للشهيد الذي جعله الله عنده حيا يرزق إلى يوم الدين.

[1]–أسيا متلف,ص71.

[2]–عقاب بلخير,ص7,

كما استحضر هذه الشخصية في قصيدة أخرى ألا وهي "السفر في الكلمات"التي يقول فيها:

"وأنحل في داخل الكلمات

لأبحث عن كنه ذاتي

تسافر بي الكلمات أنا

المسرح من الغزوات

بدا خلى أشياء أخرى

تراها و لكنها في الممات

أنا الطارق المستبد المعاني التي في الذوات

أنا الحرف في شفرة السيف صوت ينادي[1]

يتجلى الرمز الديني إذا في هذه الأبيات في استحضار الشاعر لشخصية الرسول صلى الله عليه و سلم و هو في الغزوات التي قادها و كيف كانت وسيلته في الجهاد هي الحروف التي يعني بها القران الكريم ورسالة الله عز وجل.

يقول أيضا :

[1]-عقاب بلخير ,ص12.

"و أبحث في كل فجّ من حرف يخرق

حدّ الصخور عن الرمح يرشق كل الطغاة

عن الحرف في شكله الدموي عن الجسر

يعبره الحرف في قوة و ثبات"[1].

فهنا يبين لنا الشاعر وسيلة الرسول صلى الله عليه و سلم في الحروب كانت أولا القران الكريم الذي كان صداه أقوى من الرمح و باقي الوسائل الحربية و كان بفضل الله سبحانه و تعالى ينتصر على المشركين والطغاة.

أما قصيدة"غربة الجالس وحده"فيكفينا عنوانها لكي نعرف و نفهم مضمون القصيدة الذي يتمحور حول موضوع القبر و الموت يقول فيها :

"غربة الجالس وحده

أنت لا تعرف ضره

يقتل الصمت ليله يميت الخوف صدره

يتمشى بين أصداف الدّياجي

ذارفا في الخدّ عبره[2]

[1]–عقاب بلخير,ص13.

[2]–عقاب بلخير,ص35.

في نفس القصيدة و في نفس الموضوع يواصل و يقول:

"غربة الجالس وحده

من حبيب لم يزل يكتم سرّه

و يراه وسط كهف الخوف ينسل بنظره

و يمينه المودّة

لم يزل يحفظ في صدره ز

وعلى قلبه نقش كالمخدة[1].

فهذه الأبيات تبين لنا مال الإنسان الحقيقي فهو مهما سعى إلى التستر و كتمان سره في الدنيا إلا أنه يجدها مكومة في قبره ذلك أن الله سبحانه وتعالى يعرف الظاهر و الباطن ولا يخفى عنه شيء مهما صغر حجمه.

و كذالك قوله :

"فإذا الدنيا على أخرها عمياء لا تطلب وده

فبكى من شدة الإعياء

و مضى يطلب نوما أبديا

[1]–عقاب بلخير,ص35

لم يجد نوما و لكن وجد الوحدة ذخره

و ضلالا لعيون لم تزل تغرس

يحمل الذنب الذي لم يأتيه مقدرة ألا يرى في العمر عمره

غربة الجالس وحده"[1].

وظف هذه الرموز الدينية المتمثلة في" النوم الأبدي"،"الوحدة"،"الذنب"،للتأكيد على ضرورة التفكير في الآخرة و ما ينتظرنا لأنّ الإنسان والدنيا مهما كانت مآلها الزوال و الفناء هنا بالضبط يرمز الشاعر إلى تلك الشخصية الآثمة التي لم تعمل خيرا في دنياها و التي تودّ بعد فوات الأوان العودة والتفكير عن سيئاتها،في نفس الموضوع و في نفس المجال الديني لكن في قصيدة أخرى يحاول الشاعر أن يبين لنا حال الميت لكن أثناء الدفن يقول :

"هي إلا لحظة واحدة يعبر فيها جسر الموت والعالم لا يصبح إلا صورة خرساء

يمضي العمر،عمري و لن نلقي من الأقدار مهرب

يا تراب الأرض رفقا حين نطويها و يا أرض يا حواشي القبر بالله أريحينا و يا أشجار بالأوراق عظيما"[2].

[1]- عقاب بلخير ,ص36.
[2]- عقاب بلخير ,ص26,27.

فهذه القصيدة حافلة بالرموز و المعاني الدينية كالموت، راحم القبر، حلفت بالله، حواشي القبر،وهي كلها تصب في معنى واحد ألا و هو لحظة الردم أو الدفن و هي لحظة تصعب حتما لا على الميت فقط وإنما على أهل الميت الذين فارقهم.

كما يبرز لنا أيضا رمز ديني أخر في نفس القصيدة

و ذلك في قوله:

"أين عيناي و عيني لم تعد عيني و جسمي من تصلبها هنا بعد الرحيل

تدري أن ما كنت تراه صار وهما و بأن الوهم قد صار حقيقيا لا يكذب

و ستمضين بلاحين إلى المحسوب و المحسوب عين تترقب[1].

فرمز العين و المحسوب هنا تحيل إلى قدرة الله على مراقبة عباده و علمه الواسع بالخفي والظاهر و هو دليل واضح على إيمان الشاعر بهذه القدرة و الله بصفة عامة.

تجدر الإشارة إلى أن هناك نماذج جزائرية معاصرة كثيرة استلهمت الرمز الديني بل و قد جعلت منه موضوعها الرئيسي في دواوينها و هذا ما نجده عند عزالدين ميهوبي الذي يستحضر في أحد قصائده موقفين الأول لنبي الله موسى عليه السلام و الثاني لقصة أبينا ادم و حواء بعد أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله من الأكل منها يقول :

[1]–عقاب بلخير,ص28

"وشمت في مهجتي من فرط ما اعتصرت *** الإثم دالية و العنق تفاح

وحدي أمزق أشلائي كعاشقة *** وليس يمنعني في الوجدان إفصاح[1].

أتيت أحمل آثامي و مليء فما*** خانت نبيك بعد الوحي ألواح

حواء تطلع من توت يزينها *** و ادم احترقت في دوحه الراح

لا مجد للنخل إذ يعلو بقامته *** و لن يطال بروح الضوء صباح

ويعتبر الرمز الديني عند الشعراء الجزائريين المتنفس الشعري إذ يجمع الحلم الذاتي بالأمل في الخلاص،و مصطفى محمد الغماري أحد هؤلاء الشعراء الذي يقول في قصيدته(قيس و ليلى) التي مزج فيها بين الرمز الطبيعي و الرمز الديني و ذلك بالتقاء رمز الريح برمز الصليب.

"ليلى الأسيرة يا أحباب تنشدكم

هناك حيث توارى ضوء كلماتي

الله الله في ليلى.....أتصلبه

ريح الصليب.....و ما تصحوا بطولاتي

هناك لو كنت يا ليلى.....جعلت فمي

[1]-عز الدين ميهوبي,عولمة الحب والنار,دار الأصالة,الجزائر,2002,ص76.

هدبي لجرحك بعضا من ضما ذاتي[1].

و بهذا فإن الرموز الدينية التي تكتفي بالكشف عن تركيب الحقيقة أو الوجود في بعد من أبعاده و لكنها بنفس القدر تجعل الوجود الإنساني محملا بالمعنى بحيث يعمل الإنسان دائما على حل شفراتها[2].

كما عمد الشاعر إلى استخدام نوع أخر من الرموز و هي الرموز الخاصة و الطبيعية التي تتمثل في استحضار مجموعة من المفردات الدالة على انتماء الشاعر و ثقافته،فنجد من بين هذه الرموز استعمال كلمة'بحر'التي توحي في الشعر الجزائري المعاصر إلى المغامرة و المستقبل،يقول عقاب بلخير:

لو أن موج البحر يحملني لكنني ضيعت مركبتي[3]

هنا الشاعر يتمنى لو أن الحر يحمله،و ذلك بالرمز له كشخصية قوية مغامرة صامدة.

يواصل الشاعر كلامه فيقول :

"ما أصفر البحر الفسيح إذا *** ألقيت في غوريه قائمتي

متغرب و الليل يعرفني *** متوحد في البدء

وطني أفكر فيك يا وطني *** يا شقي الثاني و باصرتي[1]

---

[1]–أسيا متلف,ص65

[2]–أسيا متلف,ص69.

[3]–عقاب بلخير,ص5.

إنّ رمز "البحر" في هذه الصورة لم يتجاوز دلالته البسيطة فهو يتعجب من شساعة البحر الذي يفصله عن وطنه الذي يفكر فيه دائما رغم بعده الشديد عنه،رغم أن رمز البحر يأتي في الغالب كصورة رمزية توحي بالقوة و العظمة و الغموض و هو من العناصر الطبيعية التي وردت بكثرة في الكتابات الإبداعية المعاصرة واتخذت أبعادا جمالية و إنسانية[2]،إلا أن دلالة البحر في معظم استخدامات الشاعر لها في هذا الديوان يبقى توظيفا ساذجا و بسيطا،فيقول في قصيدة أخرى بعنوان "رحيل ":

إنه البحر الذي يحمل بين الموج و الريح رفاة الفارس الأغبر مهلا

و تلافق أيها البحر لأطويه بأيد

و على مدى الرؤى في كل شبر كنت تأتي لاهبا عيناك نجم

و بساط الليل في رجلك يصغر

سأحل البحر لعينيك رموشا[3].

في هذه القصيدة يحاول الشاعر أن يصور حالة البحر أثناء الحروب و المعارك و هذا تصوير مجازي أراد من خلاله أن يرمز إلى حالته النفسية المتألمة بسبب بعده عن وطنه ويقول في قصيدة أخرى:

---

[1]–عقاب بلخير,ص5.

[2]–رشيدة أغبال,الرمز لدى محمود درويش,الرمز الطبيعي,مجلة علامات,العدد26,ص150.

[3]–عقاب بلخير,ص23.

لم يعد البحر أمواج و لاللغيم *** حبات عقود سائحات

لم يعد للورد معنى غير معناها *** و لا للعمر عمر السنوات

لو بمقدوري حفرت الجبل *** الصامد،ناديت لكل الأصوات[1]

إن الشاعر في هذه الأبيات يبدو كئيبا و يائسا،فهو يتمنى لو يغير من واقعه إلى الأحسن،لكن دون جدوى لأن ليس لديه القدرة الكافية،و عموما يبقى البحر ذلك المحيط الفسيح و الرمز الشعري المعروف في المتن الشعري العربي منذ أزل بعيد لأنه بالنسبة إليهم هو المتنفس الوحيد لهمومهم و أحزانهم والملجأ الذي يلجؤون إليه لكي يشكو همومهم.

أما في قصيدة "دعوة للرحيل"يقول الشاعر:

"قلت لم أذنب جعلت البحر في *** عينيك دنيا واستطالت رحلاتي[2]

هنا الشاعر ذهب منحى أخر حيث أعطى للبحر معنى أكثر جمالا و دلالة فبعدما وظفه توظيفا ساذجا لجأ إلى استحضاره كشيء يحمل روح له فائدة في الدنيا.

فقد"كانت الطبيعة مصدرا استمد منه الشاعر العربي بعض أشكاله الرمزية معتمدا على خاصيتي التجسيد و التشخيص،فإنها في الحقيقة لا تعد أن تكون منبعا واحدا من منابع عدة اتكأ عليها في هذا الصدى ذلك أن مفهوم الواقع بالنسبة للشاعرالمعاصر قد أصبح أكثر رحابة و عمقا،فلم يعد يقتصر على الظواهر المادية في الطبيعة،بل امتد إلى نطاق الظواهر

[1]–عقاب بلخير,ص48.

[2]–عقاب بلخير,ص45.

النفسية غير المنظورة،و هي ظواهر استأثرت باهتمام الرمزيين،باعتبارها الحقيقة التي لا حقيقة سواها،و التي ترتد إليها مظاهر العالم المادي المتغير"[1].

فالشمس مثلا هي من العناصر التي أكثر الشاعر في توظيفها يقول في قصيدته "غابت الشمس غابت":

"غابت الشمس و لكن أين غابت

وامتطا نحا الليل،لوعات ترامت

تتهاوى كالسكارى

و الحيارى تحتها روح تهاوت

غابت البسمة غابت

و الأنين

ذلك الشجو الحزين[2]

إن الشمس هي ذلك الكوكب الكبير الشديد الحرارة و النور الذي يوحي إلى الأمل و البسمة و البهجة والحياة،لكننا نجد أنها تحمل دلالة رمزية أخرى عند"عقاب بلخير"فهي توحي إلى الفراق و الحزن فقد غابت فجأة ليأتي بعدها الليل الطويل بأحزانه وهمومه،فالبسمة فور

[1]–محمد فتوح أحمد,ص311

[2]–عقاب بلخير,ص19.

غياب الشمس،و كأن الشاعر قد رمز بها إلى شخص غال عليه غاب فجأة ليترك وراءه أحبابه في حالة حزن و حسرة.

كما حظي رمز الليل بقيمة في ديوان الشاعر،فالليل صاحب الظلام الدامس الذي يحيل إلى الحزن و الألم والوحدة،فكثيرا ما يلجأ الشعراء العرب إلى توظيفه لأنه بالنسبة إليهم الأكثر قدرة على التعبير على حالتهم النفسية بصدق،فبعدما يذهب النهار بنوره،يأتي الليل بظلامه الطويل بأحزانه و همومه.

يقول الشاعر في قصيدته"غابت الشمس غابت"

"علي الليل السلام:

و تمطى و الليل من ساعات سهد

حاملا ثقله من هذا التراب"[1]

ففي هذه الأبيات الشاعر يصور لنا حالته أثناء الليل و ذهاب النوم عنه و كيف أن الليل حمله عبئ لا يستطيع أن يتحمله،و كأن الشاعر جرد صورة الليل التي تحمل دلالة الوحدة و الوحشة ليعطيها بعدا أخر و هو دمجها بعالم الروح الذي يحيا فيه الإنسان و الذي يصوره في زمن صعب.

ففي الشعر المعاصر لم تعد"وظيفة الشعر تصوير الأشياء تصويرا حسيا جامدا،بل هي بالأحرى الإيحاء بالواقع الذاتي للأشياء و نقل عدواها من نفس الشاعر إلى نفس المتلقي

[1]-عقاب بلخير ,ص21.

ولهذا صلة بما رآه الرمزيين من أن الأشياء توجد داخل نفوسنا،بل إنها و نفوسنا شيء واحد"[1]،و هذا ما يظهر في قصيدته"وطبي":

"أيها الوطن المشتعل

بشعاع الأمل

أيها الوطن

بلهيب العرق.....

أنا غنيتك اليوم يا وطني

من هنا و هناك عبر حدودك يا وطني

كنت توقض في الأمهات لحون الصبايا اللواتي ولدن

بأرضك يا وطني

لعيونك يا وطني

عندما كنت تنفجر

قد نسيت الهوى و الحنين إلى غير عينيك يا وطني

ليكن بعض هذا العناء لحبك يا وطني"[1]

[1]–محمد فتوح أحمد,ص155.

يحاول الشاعر في هذه القصيدة أن يدمج ذاته بذات الوطن و روحه بروح هذا الوطن و يعترف له في شكل مناجاة أن نبضهما واحد،و هو ينبض لتوقيت نبض الوطن و تحمله في سبيله كل العناء لأن الحب الذي يحمله له فوق مستوى الحب و يتجاوز مستوى الأخذ والعطاء.

كما يقول الشاعر:

"عبر كل الدروب تثور الطبيعة من حجرها

أنا كلمتهم عنك يا وطني

حيث كانت عيونك ذابلة

و طريقك مغمورة بالحفر

حينها كنت يا وطني

في العيون اكتهلت من عناء السفر

و لأن أعبر البحر لا بد لي

حبك الآن يا وطني

مبعث الزهر أو عودة المنتصر[2]

[1]–عقاب بلخير,ص15,16.
[2]–عقاب بلخير ,ص37.

هذا النص مليء بالمعاني الدالة على المأساة التي يعيشها الشاعر و الغربة التي يعانيها في ظل الحياة فهو يحاول تفريغ شحناته،نفس ما نجده في قول كمال فنيش:"لقد تولد الشعور بالغربة في الأوطان لدى بعض الشعراء و إدراكهم الإحساس بالتشرد و عدم امتلاك المكان....و يبدو لنا واضحا جليا أن الإحساس بالضياع مرتبط بالمحن و الفجائع التي مر بها الوطن و لعل شعرية الإهداء في مقدمة قصيدة"آه الأوطان"ليوسف وغليسي أبلغ تعبير عن هذا الإحساس داخل الأوطان حيث يقول:

إلى شعب يستوطن بلاد الواق واق

إلى شعب لاجيء في وطنه

إلى الشعب الجزائري العظيم المغلوب

على أمره[1]

كما حظي عنصر الريح بمكانة في شعر عقاب بلخير،يقول الشاعر:

"جرفتني الريح و الرمل رماني ***و سقاني الدمع حتى الارتواء

و حفظت الصمت عنوانا لقلبي *** و تغطأت بأسمال الرداء[2]

هنا الشاعر لجأ إلى استحضار رمز الريح و الرمل اللذين أعطا لهذه الأبيات نبرة جميلة وذلك من خلال جعل الشاعر للرياح و كأنها ذات قوة قادرة على تسيير الأشياء،أما الرمل

[1]-كمال فنينش,البناء الفني في الشعر الجزائري المعاصر مرحلة التحولات(1988-2000),مذكرة ماجيستر,قسنطينة,2009,ص18

فهو في الشعر الجزائري المعاصر فيدل على ذلك الزمن الماضي الذي ذهب و لن يعود ومن بين الرموز التي استدعاها الشاعر في ديوانه كذالك نجد رمز المطر،يقول الشاعر :

"حين يأتي المطر الساقط تهوى *** الأرض في طلعة و الكبرياء

و ذا يقدم طاو و بين بردية *** مرايا الحور يرتاد الفضاء[1]

هذا النص يبرز لنا ذلك الزمن المفعم بالأمل الذي ينتظره الشاعر،فالمطر في دلالته يحمل ذلك الارتواء من ظمأ الحياة،فالمطر يمد الكائن الحي بالحياة والرزق فيبحث فيه الأمل والتفاؤل ،فالمطر مصدر الراحة النفسية التي حرم منها الشاعر،وهذا بصدد البحث عنها و التي يأمل أن يجدها.

[1]-عقاب بلخير ,ص6.

خاتمة

خاتمة البحث :

من هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا البحث البسيط و المتواضع الذي كان حول موضوع "بنية الرمز في الشعر الجزائري ديوان"السفر في الكلمات" لعقاب بلخير نموذجا،الذي طبقنا عليه أفكارنا ودلالنا عليها استنادا إلى المعلومات التي استنتجناها من المصادر و المراجع المختلفة التي تحصلنا عليها،فقد بذلنا جهدنا قدر المستطاع في سبيل إنجاز عمل يكون بصمة في مشوارنا الجامعي.

و كأيّ بحث عادي انتهينا إلى مجموعة من النتائج التي استخلصنا من خلال بحثنا حول موضوع الرمز الشعري و هي كالأتي :

*الرمز موضوع متشابك تعددت و تضاربت تعاريفه فلحدّ الآن لم يصل الباحثين إلى تعريف مشترك و نهائي له،ثم إن الرمز في القصيدة العربية أصبح جزءا لا يتجزأ منها لما فيه من قدرة على ترجمة أفكار و أحاسيس الشاعر دون التصريح بها بطريقة مباشرة تلقائية.

*اختلاف تقسيمات الرمز إذ أنه هناك من قسمه إلى نوعين الرموز العامة و الرموز الخاصة،فالرموز العامة هي التي تشمل الرموز الأسطورية أو التراثية،التاريخية و الدينية أما الرموز الخاصة فهي التي تشمل الرموز الأدبية،الصوفية،اللغوية والطبيعية غير أن هناك من صنفها مباشرة إلى الرموز التاريخية،الأسطورية و الدينية .

*تختلف طريقة توظيف الرمز في المتن الشعري الجزائري من شاعر لأخر و من جيل لأخر بل حتى من قصيدة لأخرى و هذا حسب اتجاه و ثقافة الشاعر ونظرته إلى الواقع بالإضافة إلى المزاج الشخصي الذي ينعكس مباشرة على القصيدة.

*أن الشاعر الجزائري المعاصر يتفاعل دائما مع مجتمعه و مع الظروف المحيطة به إذ تنطبق عليه كثيرا المثل فالشاعر ابن بيئته و الشعر المرأة العاكسة للمجتمع و قد كان الرمز الوسيلة التي انتهجها في طرح أرائه و نصائحه .

*يتميز "عقاب بلخير بأسلوب سلس و متقن جمع في ديوانه مجموعة من المواضيع المختلفة كالوطن الثورة و الحياة بشكل عام و قد اعتمد في ذلك على مجموعة من الرموز التاريخية الدينية و الأسطورية وقد لاحظنا من تحليلنا لقصائده أنه اعتمد أكثر على الرموز الخاصة خاصة الرموز الطبيعية و اللغوية لأنها تعكس نظرته للحياة،كما تعكس حبه و تعلقه الشديد بوطنه و هذا ما توضحه ألفاضه و عباراته الموحية و الملفتة النابعة من روحه الوطنية .

تلك كانت أهم النتائج التي خلص اليها البحث أن الرمز سيظل تلك الوسيلة التي يعتمدها الشعراء لكنه لا يتحقق إلا باستعادة اللغة لأصالتها بحيث تصبح متعددة الإمكانات و ذات طاقة لا نهائية في التعبير.

و يبقى حقل الرمز متسعا لجهودات أكبر و دراسات أعمق باعتباره ملمحا فنيا لم تستوف كثيرا من جمالياته و لم تؤت حقها من العناية و البحث و نحن من خلال هذا البحث لا

نقول أنّا ألممنا بكل جوانبه و لكننا على الأقل فتحنا الأقواس و المجال للدّارسين و الباحثين المقبلين للتعمق فيه أكثر و إعطائه حقه من الدّراسة و التحليل.

قائمة المصادر و المراجع :

أ/المصادر:

1-القران الكريم .

2-ابن منظور،لسان العرب،المجلد الثالث .

3-محمد بن مريومة،المغني الفقير،المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر،1985.

4-حمري بحري،ما ذنب المسمار يا خشبة،منشورات أمال الجزائر،1981.

5-مصطفى محمد الغماري،أسرار الغربة،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1977.

6-مصطفى محمد الغماري،عرس في مأتم الحجاج،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1982.

7-عز الدين ميهوبي،عولمة الحب و النار،دار أصالة الجزائر،2002.

8-عقاب بلخير،منشورات إبداع ،1992.

ب/المراجع :

1-أحمد محمد فتوح،الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر،ط3،دار المعارف،القاهرة،1984.

2-تسعديت أبت حمودي،أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم،ط1،لبنان،بيروت،دار الحداثة،1986.

3--نسيب نشاوي،مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1984.

ج/المذكرات الجامعية:

1-آسية متلف،اشتغال الرمز الديني ضمن إسلامية النص رواية بياض اليقين لعميش عبد القادر نموذجا،رسالة ماجيستر،2006.

2-أمنة أمقران،الرمز في شعر مصطفى محمد الغماري،رسالة ماجيستر،باتنة،2009.

3-جميل إبراهيم أحمد كلاب،الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة(1967-1987)،رسالة ماجيستر،كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة،2004.

4-السحمدي بركاتي،الرمز التاريخي و دلالته في شعر عز الدين ميهوبي،رسالة ماجيستر،جامعة لحاج لخضر باتنة،2009.

5-مجيد قري،مسار الرمز و تطوره في الشعر الجزائري الحديث،رسالة دكتوراه،جامعة الجزائر،2009.

6-هدى فاطمة الزهراء،جمالية الرمز في الشعر الصوفي،رسالة ماجيستر،تلمسان،2006.

د/المواقع الإلكترونية :

1-فالح الحجية،الرمزية في الشعر العربي المعاصر بين الحداثة والغموض،أصوات الشمال الراشدية،السبت11أفريل2015، http :w.w.w.rachidia.net

2-مفدي زكرياء،اللهب المقدس، w.w.w.startimes.com

ه/المجلات:

1-محمد كامل حسين، الشعر العربي و الذوق المعاصر،مجلة شهرية تصدر عن دار الإذاعة التلفزيونية،طبع بمؤسسة دار الشعب.

2-رشيدة أغبال،الرمز الشعري لدى محمود درويش،الرمز الطبيعي،مجلة علامات،العدد26.

فـــــــــــهرس

مقدمة البحث ..... (1-4)

تمهيد..... (5-9)

الفصل الأول : المصطلح و النشأة ..... (10-33)

المبحث الأول:

أ/الرمز لغة..... (12)

ب/الرمز اصطلاحا ..... (13-15)

ج/سمات و خصائص الرمز ..... (16-21)

المبحث الثاني :

أ/أنواع الرموز ..... (23-29)

ب/الرمز في الشعر العربي..... (30-33)

الفصل الثاني :الفصل التطبيقي ..... (35-70)

أ/الرمز في الشعر الجزائري المعاصر ..... (35-38)

ب/أهم الرموز المستعملة لدى الشعراء الجزائريين و أخذ ديوان"السفر في الكلمات"لعقاب بلخير نموذجا ..... (39-70)

الخاتمة..... (72-74)

قائمة المصادر المراجع ..... (75-77)

فهرس ..... (78-79)